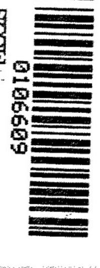
المفهوم الإسلامي للتكافل الاجتماعي

الشيخ
منصور الرفاعي عبيد




مكتبة الدار العربية للكتاب

المفهوم الإسلامي
للتكافل الإجتماعي

الناشر : **مكتبة الدار العربية للكتاب**
٢٤ شارع الدكتور حسن إبراهيم متفرع
من مكرم عبيد - ص . ب ٧٥٨٤
الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة.
تليفون وفاكس: ٢٧٤١٧٢١
رقم الإيداع: ١٠٨٥٤ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى: 9 - 043 - 293 - 977
تجهيزات فنية: **او - تك**
العنوان: ٤ ش بنى كعب - متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع: **مطبعة الوطنية**
العنوان: ش ٤ ١٠ متفرع من شارع الوطنية منشية السيد
العالى خلف سنترال النزهة

الطبعة الأولى: جماد الأخر ١٤١٩هـ أكتوبر ١٩٩٨ م.



الشيخ منصور الرفاعي عبيد
وكيل وزارة الأوقاف "سابقا"

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رَبِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، صلوات اللّه وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فمن القصص الطريفة التى قرأتها قصة قرية كانت تعيش فى رغد من العيش وترف الحياة، استقر بأهلها الحال، وانتشر الأمن فى ربوع بلادهم، وظهر البِشْر والسعادة على وجوه سكانها، كان كل واحد منهم يتقن عمله، ويُجَوِّدُ صنعته، ويلتئم فى إيجابية مع إخوانه، لذلك عمهم الخير، وكثر النعيم عندهم، واخضَرَّتِ الأرضُ تحت أقدامهم ومِنْ حولهم، كانت الشمس تُشرق عليهم والكل يغدو ويروح، والأمل يملأ قلوبهم، وزيادة الإنتاج مع جودته فى فكر كُلِّ شخص منهم.. التعاون رائدهم، وفعل الخير دأبهم.. كانوا يتزاورون فى محبة ومَوَدَّة، لم يعرفوا الملل ولا الكسل. ومن خلال تلك الصورة الجميلة دانت لهم القرى المجاورة، والتحم بهم سكانها، وتم

تبادل المنافع بينهم وظل الحال كذلك ردحًا من الزمن، ومرَّت الأعوام، وإذا بالخير يتناقص، وتساءل الكبار: ما سبب ذلك؟ فعلموا أن الخمول والكسل دبَّا إلى الكثير من شبابها، وتراخى الكبار فى توجيه النصح وإلقاء المواعظ، وإذا أُلقيت كانت آذانهم لا تسمع، لأنهم انغمسوا فى اللهو والترف، وترنحوا بعد شرب الكأس، وانتشرت العداوة بينهم بسبب الميسر والقمار، وكلما مرَّ يوم جفت قطعة من الأرض وذهبت خضرتها، إلى أن ظهرت الفئران فى جنباتها وتوحشت، فبدأت تُهاجم الأحياء من البشر، وبدأ الناس يهجرون مدينتهم ويبكون على أطلالها، إلى أن أعلن حاكم تلك القرية عن تنازله عن الإمارة والإدارة لمن يأتى بدواء يقتل الفئران ويعيد للقرية أمنها وأهلها، وتقدم أحد الناس فَأَبْدَى استعداده لذلك، ورحب به الحاكم.

وبدأ الرجل يستجلب القطط من البلاد المجاورة التى بدأت تفترس الفئران وتطاردها.. وذهب كابوس الخوف من القرية، وبدأ أهلها يعودون إليها، وتحدث الغادى والرائح عنهم بأسلوب كله حلاوة، وكلمات عليها طلاوة، ونظر الناس إليهم بإعجاب، واحترمهم الجميع، وانحنت لهم الهامات، وخطب وُدَّهُم الملوك والرؤساء، وأصبحوا خبراء وأُمراء، وسادة وقادة.

ومضى الزمن، ولم يلتفتوا إلى المخبوء لهم فى القَدَر، فقد بدأت **القطط تكبر، حتى صارت شرسة كالنمور، تُهاجم الكبير وتفترس**

الصغير، ولم يستطع الأهالى مهاجمة القطط، لأنهم لم يعملوا حسابها، ولم يخططوا فى يوم لشىء يحول بينهم وبين المصير الذى صاروا إليه، وخرجوا هاربين للمرة الثانية، وأغلقت القرى المجاورة لقريتهم أبوابها فى وجوههم، وتنكر لهم الصديق، وهاجمهم العدو، فَمُزِّقُوا فى البلاد شَرَّ مُمَزَّق، ولم يعرف الأب ولده، ولا الأخ أخاه، وصاروا قصة تُحْكَى، وحكاية تُقال، ليكون من ورائها العظة ومنها العبرة.

وما لنا نذهب بعيداً لنستورد قصة من هنا أو هناك، والقرآن يقص علينا أحسن القصص بأجمل لغة وأحسن بيان، يقول الحق سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(1).

إن الأمم لا تنهض إلاّ بجد أبنائها، ولا ترتقى إلاّ بسواعد شبابها، ولا تتبوأ مكان الريادة والقيادة إلاّ بفكر شيوخها ونتاج عقول علمائها، ولعلنا نستلهم ذلك من الحوار الذى دار بين أتباع سيدنا موسى، عندما قال بعضهم لبعض ـ كما حكى لنا القرآن الكريم فى قول الحق: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(2).

---

(1) سورة النحل ـ الآية ١١٢.

(2) سورة الأعراف ـ من الآية ١٦٤.

تذكرت كل ذلك، وأنا أُتابع وسائل الإعلام فى مجتمعنا المُعاصر، وهى تتحدث عن فئران الشرقية فى مصر، ثم ظهورها فى محافظات أخرى، وتابعتُ الملايين من الجنيهات التى صُرفت ورصدت لشراء السم القاتل للفئران. . وتابعت المشاكل التى أحدثها الزلزال المدمر، ثم السيول المدمرة فى مناطق مختلفة من عالمنا الإسلامى المعاصر. . ثم رأيت فى وسائل الإعلام من يؤيد الأفكار المختلفة، ومن يدعو إلى تجنيد الشباب وهكذا.

قلت فى نفسى: يا ليت قومى يعلمون أن الفئران فى الحقول والحشرات الضارة المؤذية فى البيوت - كالصراصير وما شاكلها - كل هذه آفات تُصيب المجتمعات إذا حدث فيها انحلال أخلاقى، ونسى العباد ربهم، وتمردوا على خالقهم ورازقهم، وتطاولوا على علمائه المصلحين فى المجتمع.

وعلاج هذه الأشياء والقضاء عليها لا يكون إلاّ بعودة الإنسان إلى ربه، وتصحيح قيمه وأخلاقه على هَدْى الأنبياء وتعاليم السماء، ولعلنا نذكر فى هذا المقام أن أتباع سيدنا موسى عليه السلام عندما تمردوا عليه وسخروا منه أصابتهم تلك الآفات وحلت بمجتمعهم النكبات، ويصور القرآن لنا ذلك، فيقول: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾[1].

وقد لجأ القوم إلى التحاليل الكيميائية والعقاقير المصنعة لعلها

(١) سورة الأعراف - من الآية ١٣٣.

تقضى على هذه الأشياء التى أقضَّتْ مضجعهم، وأقلقت راحتهم، وأبعدت النومِ عن عيونهم، فأصابهم الاضطراب الفكرى والتمزق النفسى، وخَيَّمَ الهَمّ عليهم، لأن جميع حيلهم باءت بالفشل، وعلموا أن البلاء لن يُرفع عنهم إلاّ بالتضرع إلى الله واللجوء إليه، فذهبوا مسرعين إلى موسى النبى وقالوا فى توسل ورجاء: ﴿ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾(1).

ونأخذ من ذلك أن هذه الأشياء علاجها عن طريق طهارة قلوبنا، وعفة نفوسنا، وبذل ما فى أيدينا، لذلك علينا أن نطهر قلوبنا من الحقد والغل والكراهية، وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا، وأن نتوب إلى الله ونستغفره ليكون لنا ما قاله سيدنا نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾(2).

والرسول صلى الله عليه وسلم يضع لنا العلاج لكل هذه الأشياء فى كلمات هى قمة البلاغة فيقول: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصَّدَقة».

ومن المعلوم أن الزكاة باب النعمة النامية، والعطاء الممتد، والجزاء

(1) سورة الأعراف ـ من الآية ١٣٤

(2) سورة نوح ـ الآيات من ١٠ : ١٢.

الأوفى من الله، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

ثم إن الامتناع عن الإنفاق فى سبيل الله نقصان فى المال، وتعب في الجسم، وسبيل التهلكة الدائم: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وقد قال الله فى الحديث القدسي: «يا عبدى أَنْفِقْ أُنفق عليك».

ونحن نشخّص العلاج لهذه الآفات نقول لكل إنسان: «أَخْرِجْ زكاةَ مالِكَ وطَهِّرْهُ بالصَّدَقة». كما أننا نقول للعَالِمْ: «عَلِّمِ الجَاهِلَ»، ولكل صاحب حِرفة أن يدرب غيره، فإننا بذلك نبنى مجتمع التكافل، مجتمع الحب، مجتمع التعاون، ولنعلم أن شرف الوسيلة من شرف الغاية، وأدب السلوك من طهر الغرض والقصد، وغاية المال فى الإسلام إنفاقه فى سبيل الله وابتغاء مرضاته، والمال فى منهج المسلم وسيلة لغاية، هى رضاء الله سبحانه وتعالى.

إن النفس إذا أيقنت بالله ووثقت فيه واطمأنت إليه أبصرت أمرها، فلم تر لنفسها فضلًا فيما أحرزت من مال، وأنفقت ولم تخشَ من ذى العرش إقلالا، وعلمت أن الفضل دائمًا لله الغنى الحميد.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٦١.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٩٥.

وإذا نحن تأملنا أسلوب القرآن الكريم فى طلبه للإنفاق وجدناه يقدم له بما يشعر الإنسان بسيطرة الخالق على الكون، وأن المال الذى فى يدك مال الله وأنت مُسْتَخْلَفٌ فيه، واقرأ إنْ شئتَ قول الحق: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1].

وصَدِّقْ يا أخى الفاضل أن خير ما قيل عنك فكرمت به أنك مُسْتَخْلَفٌ، وإلاّ فَسَلِ الواقعَ يُنبئك عن نفسك، هذا المال الذى بيدك لو دام لغيرك ما وصل إليك.

هذه الأرض أرض الله، وأنت تمر عليها ولا تقيم، ولو كانت أرضك ما بقيت بعدك، ولاحتوتك فأذابت منك خلايا العظم والدم، فأنت إذًا مستخلفٌ لا مراءَ فى ذلك.

إن الإسلام وهو يطالبنا بإخراج الزكاة يحثنا على العمل، ويرغبنا فى التعفف، ولم نر أعظم أثرًا فى كيان الأمة ولا أقوى فى بنيانها من هذا التماسك والتعاون بين الغنى الشاكر والفقير الصابر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2].

والإسلام بمنهجه السليم يقيم فى دنيا الناس التكافل الاجتماعى

(١) سورة الحديد ـ الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٨٠.

الذى يحقق الأمن والسلام اللذين تستريح بهما الأمة وتنطلق إلى البناء والعمل وتحقيق التقارب بين الطبقات حتى لا يكون هناك غنًى فاحشٌ ولا فقرٌ مدقع.

إن الحق جل جلاله رحمة بعباده يطلب منهم رعاية أنفسهم بالإنفاق وإخراج الزكاة التى هى باب النعمة النامية، والعطاء الممتد، ليحيوا مع غيرهم فى حب وتآلف، وإذا كان الحال كذلك عند المسلمين فإن المال عند أصحاب الحضارة المادية غاية لا وسيلة، لذلك لا بأس أن تكون وسائله الحيلة والخديعة، والكذب والغدر، وتسلط القوىّ على الضعيف، وإنسانية الإنسان تخدم حيوانيته، لذلك تصيبهم الزلازل والبراكين والآفات، لأنه من المعلوم أن الآفات الاجتماعية تنشأ من داخل النفس، وهى بطبيعتها أمّارة بالسوء، فمن رحمة الله سبحانه أن يعينها على إبراز خصائصها، والإنسان من يوم أن وُجد يغرس ليبقى، ولا نفرق بين ما يغرس من نبات ليطعم وبين ما يغرسه من سلوك طيب، فكلاهما فى باب التدين الصحيح القائم على النية الطيبة سبب من أسباب بقائه، وسيجنى الإنسان حتمًا نتيجة عمله وثمار غرسه، ولن يتخلف ثمر بذل فيه عمل، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

ومع العمل لابد من رعاية الله وحماية السماء حتى لا يتعرض

---

(١) سورة إبراهيم - من الآية ٧.

الغرس لآفة قاتلة.. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾[1].

هذه أرض تنبت زرعها، وتلك سماء تحتضن كواكبها، ويد القدرة تدبر الكل، وأنت تشهد ذلك، لأنك تحيا فى أرض الله التى ذُللت لك بما احتوت، ولا تضن عليك بخيرها، أفلا تدفع ضريبة زهيدة «إن جاز هذا التعبير» إمتثالاً لأمر مالك الملك، لتكون لك منه حماية تصون بها نفسك وتطهر قلبك وتنمى مالك.

إن الزكاة التى فرضها الله علينا ركن من أركان الإسلام، من أنكر فرضيتها فهو كافر، ومن تباطأ فى إخراجها هلك ماله، وسُلطت عليه الآفات البيئية، ولا يلومن مانع الزكاة إلاّ نفسه، لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2]

والذى بين يديك جهد متواضع كتبته فى عدة فصول بينتُ فيها مهمة المال، ورأى الإسلام فى التسول، وحثّه على العمل.. كما تكلمت عن الزكاة، وبينتُ الأنصبة الواجبة فى كل شىء، وتعرضتُ

(١) سورة الواقعة ـ الآيات من ٦٣ :٦٧.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

لآراء المذاهب فيها ليكون الإنسان على بيّنة من أمر دينه وضربت فى سبيل ذلك الأمثلة، كما بينت الرأى فى بعض الأشياء التى لم تكن فى عصر علمائنا الأفاضل إلى آخره.

ولعلى بذلك أضع لبنة فى صرح ما أرجوه للأمة العربية والإسلامية من عز ومجد وفلاح عندما تعود إلى تعاليم دينها، وهَدْيِ نبيها، وسنة الخلفاء الراشدين، وآراء العلماء الذين استنبطوا الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وإنى، إذْ أضرع إلى الله العلى القدير أسأله ـ سبحانه ـ أن يتقبل هذا العمل، ويجعله فى ميزان حسناتى يوم العرض عليه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[2].

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف

---

(١) سورة الشعراء ـ الآيتان ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم ـ من الآية ٤١.

الباب الأول

من أجل رفاهية المجتمع

هذا الباب نخصصه للحديث عن بعض صور المقارنات الاجتماعية بين التكافل الإسلامى والتكافل فى الأنظمة الأخرى، فنبدأ بمقارنة اجتماعية من واقع الأحداث، ثم ننتقل إلى موضوع أهمية العمل كعبادة إسلامية، ثم نتناول المعاملات المالية التى حرمها الإسلام. . لنصل فى النهاية إلى المفهوم الإسلامى فى التكافل الاجتماعى ومدى شمولية وعظمة هذا المفهوم لخدمة استقرار وتنمية المجتمع.

* * *

الفصل الأول

مقارنة اجتماعية

فى يوم من الأيام رأيت منظر رجل دهمته سيارة وسال دمه، ووقف الناس يصرخون وهم يقولون: «اطلبوا الإسعاف، الرجل فى حاجة إلى دم، من يتبرع بدمه؟».

وفى نهر الطريق الثانى وقعت عينىّ على رجل مشلول يمشى على «عكازين» ويمرق بين السيارات والخطر يحدق به من كل جانب وهو يمد يده للراكب أو السائق، هذا يعطيه، وهذا ينظر إليه شذرًا، وهكذا، فقلت: «يا سبحان الله! إن حب البقاء جعلنا نفكر فى إنشاء المستشفيات، ونملأ مخازنها بالأدوية، وساحاتها بسيارات الإسعاف، لتسعف المجروح وتضمد جرحه، وتغيث المريض».

وها هى ذى سيارة الإسعاف حضرت وحملت المجروح، وذهب مَعه من يتبرع بدمه، أمّا الشخص الثانى فلم يأبه أحد له، أفما كان يجدر بإنسان عنده قُدرة مالية وقد وسَّعَ الله عليه فى الرزق أن ينتشل هذا المريض الذي يمرق بين السيارات على «عكازين» ومرضه ظاهر

للعيان، ويخصص له جزءاً من المال يكفيه؟! وإذا لم يتنبه له أحد، فقد كان الجدير بالدولة أن تنتبه وتنشئ لهذا ملفًا يضم البيانات الخاصة بحالته، ثم يكون له ما يكفيه.

إن المستشفي التى يتم بناؤها ليعالج فيها المرضى هم الذين يقدرون قيمتها، لأن الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يعرف قدرها إلاّ المرضى. . وكذلك الزكاة التى فرضها اللّه صيانة للأمة من التفكك لتبقى متماسكة قوية تندفع للبناء بروح الأخوة والمحبة، ولإبقاء لأمة لا يتقاسم أفرادها خيرات المجتمع، فوجه الشبه إذًا بين المستشفى والزكاة أن الأولى تعالج الأجسام وتعيد الصحة للأفراد، والزكاة تُبقى عليها أُمَّةً قوية الجانب موفورة الكرامة.

وأُمَّة الإسلام قال عنها كتاب اللّه سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

وشبهها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تَداعَى له سائر الأعضاء بالسهر والحُمَّى. . فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «مَثَلُ المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عَضو تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى»[2].

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١١٠.

(٢) رواه مسلم، وأحمد. . وانظر: فيض القدير جـ ٥ ـ ط دار المعارف ـ بيروت.

فإذا كان الجسد يتألم لأن جزءاً منه أُصيب بمرض، فالأمة كذلك تتألم لجوع جائع، أو لحاجة محتاج.

وتألم الجسد ليس سلبيًا، وإنما نلحظ إيجابيته بما تُقدمه الخلايا من إشارات وترقُّب، وما تقدمه بقية الأعضاء من إمدادات ومساعدات حتى يندمل الجرح ويسكن الألم، ولابد أن يكون حال المؤمنين كذلك.. قد يكون بينهم غريب ليس له أهل ولا مال معه.. أفيموت من الجوع؟ قد تنزل نكبة من عاديات الزمن على محصول الأرض ويتلف الثمر.. فهل تجوع الأسرة أو أهل البلد؟ قد يموت الرجل ويترك أطفالاً لا عائل لهم ولا قريب، وزوجته لا حيلة لها ولا أهل.. فهل تغلق الباب على نفسها وأولادها حتى يموتوا جوعًا؟ وقد يكون بينهم ذو عاهة لا يقدر على العمل، أو مريض أقعده المرض.. أفيموت هذا أو ذاك والناس إليه ينظرون؟ مما لاشك فيه أن كل فرد معرض لذلك.. فهل نترك الأحداث تبطش بالبعض، والمصائب تنكس رؤوس من نزلت بساحتهم، أم يكون هناك التواد والتراحم والتعاطف والتعاون؟ إن هذه الأخلاقيات ليست كلمات تقال، وإنما تترجم إلى عمل وفعل فى شرع اللّه البر الرحيم، وتكون الزكاةُ صيانةً للأمة، وترابطًا بين أفرادها، وتلاحمًا بين الجميع فى أخوة.. ذلك لأن المال مال اللّه، والإنسان مُستخلَف عن اللّه فى إدارة هذا المال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1].

(١) سورة الحديد ـ من الآية ٧.

القصد من الزكاة:

أولاً: تحقيق العدل بين الخلق جميعًا، لأن اللّه ربهم وهم عبيده.

ثانيًا: تزكية الفضائل فى الإنسان.

ثالثًا: تنزع الشح من قلوب الأغنياء، والحقد من قلوب الفقراء.

مهمة المال:

إن مهمة المال أن يَنْعَمَ به الإنسان ويُسعد غيرَه معه، لأنه لن ينعم بهذا المال ويتذوق طعم الهناء والاستقرار إلاّ إذا أحس بالسعادة، والسعادة لن تتم إلاّ إذا عاش فى جو هادئ خالٍ من المنغصات وما يعكر جو الحياة، ولن يتم هذا إلاّ فى جو تتبادلُ فيه الحب مع من يحيط بك... قال صَلَّى اللّه عليه وسلم: «ألا أدُلُّكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

ولن يبادلوك الحب ويردوا عليك السلام إذا كانوا جياعًا وأنت شبعان، أنت كاسٍ وهم عرايا، إنَّ نظَرَهم سيتطلع إلى مالك ينهبونه و محلك يسرقونه، أو زرعك فى الحقل يهلكونه، والحقد يملأ قلوبهم، ولن يعاونوكَ أبدًا، ويتمنون زوال النعمة من عندك.

إنه لا يختلف اثنان أن الجريمة تعشش فى أكواخ الفقراء، وفيها تبيض وتفرخ، لأن البطون الجائعة لا تعرف إلاّ لغة الرغيف الذى يشبعها، ولأن الجائع دائمًا يفكر فى وسيلة لملء هذه البطون

(١) رواه مسلم، والبزار بلفظ: «دَبَّ داء الأمم قبلكم».

الجائعة. . يقول أبو ذر رضى اللّه عنه: «إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكُفر: خذنى معك»، ورحم اللّه الرافعى إذ يقول: «إذاً حكم اللّه على عصر من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعيها وحبالها إلاّ من ذراعى وأصابع الفقراء».

كما أنه ثبت أن معظم الجرائم يرجع سببها إلى الفقر، والأطفال المشردون هم الآخرون يلتقطهم ذوو النفوس الضعيفة الوضيعة والأخلاق المنحطة، ويتخذون منهم وسائل لغايات دنيئة، وأنت تعرف هؤلاء بسيماهم، فالأجساد عارية، والبطون خاوية، والجيوب خالية، وما عليهم من ملابس فهى بالية، والأقدام حافية، والعيون زائغة، ونتيجة لذلك يقع فى المجتمع الكثير من السرقة، والاحتيال للسلب والنهب، والبغاء والقتل والانتحار، كل ذلك سببه الفقر، ورضى اللّه عن الإمام علىّ بن أبى طالب إذ يقول: «إن اللّه فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء، وما جاع فقير إلاّ بما مُتع به غنى»، لهذا كانت الزكاة، صيانة للمجتمع، وطهارة للنفوس، وتزكية للقلوب وربطًا للأفراد، فلا يعتدى فقير على غنى، لأنه يعلم أن له فى المال جزءًا سيصل إليه فى نهاية العام، بل إن الفقير سينصّب نفسه حارسًا على هذا المال الذى له فيه نصيب.

وممّا جاء فى الأثر: «داووا مرضاكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة»[1].

(١) الحديث رواه أبو الشيخ، وهو والد الإمام ابن حبان فى الثواب عن أبى أمامة، ورمز له بعلامة (حَسَن).

فالزكاة حصن حصين تمنع التلف عن المال، وتحفظه من أيدى الذين يحاولون سرقته، وفى هذا ورد عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «السخى قريبٌ من اللّه قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة بعيدٌ عن النار، والبخيل بعيدٌ من اللّه بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنة قريبٌ من النار»(١).

وممّا يروى فيما ذكره ابن الجوزى فى روضة المشتاق عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «بينما رجل وامرأة يتعشيان، وقد رفعت المرأة اللقمة إلى فيها، فإذا سائل على الباب فآثرته بها، فلما أصبحا غدا زوجها إلى زرعه، فلمّا كان وقت غدائه، حملت إليه طعامه وولدها على يدها، فمرت ببقل أخضر فقالت: لو أخذت من هذا البقل مع هذا الطعام لكان أمثل، فألقت ولدها وأقبلت تجمع من البقل فمر ذئب وحمله، فاستقبلت القبلة وقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى رفعت اللقمة وأنا أشتهيها، فهتف لى سائل على الباب فآثرته على نفسى من أجلك، ورغبة فيما لديك، وقد وقفتُ ببابك فأعِدْ عَلَيَّ ولدى. فقفل الذئب راجعًا حتى إذا كان قريبًا منها ألقى إليها ولدها»(٢).

وفى الحديث: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء»(٣).. وقوله

---

(١) رواه الترمذي من حديث سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبى هريرة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في روضة المشتاق.

(٣) رواه الطبرانى عن أبى أمامة.

ﷺ : «أحَبُّ الأعمالِ إلى الله مَنْ أطعم مسكينًا من جوع، أو دفع عنه مغرمًا أو كشف كربًا»[١]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[٢].

لهذا فإن الإسلام بما شرع من نُظم لها أصالتها وشمولها وعمومها، قد أعلن الحرب على الفقر الذى هو خطر يهدد أمن المجتمع وسلامته، ليعيش كل فرد عيشة إنسانية كريمة تتوفر له حاجاته الضرورية: من مأكل، ومسكن، وملبس.

ولما كان الفقر خطرًا على العقيدة، لأن البطون الجائعة لا تعرف إلاّ لغة الطعام، فالعقل لا يفهم إلاّ ما يشبع المعدة.

يقول القائل: «أطعم فمى قبل عقلى، فهو لا يحسن الفهم إلاّ إذا أطعمت المعدة». . لذلك وجَّه الإسلام الأشخاص للعمل والسعى فى مناكب الأرض، والانتقال من مكان لآخر طلبًا للرزق، لأن الإسلام

---

(١) رواه الطبراني عن أبي أمامة.

(٢) سورة الإنسان ـ الآيات ٨: ١٣.

سد كل منفذ يدخل منه الفقر، لهذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ منه، وقد قرنه بالكفر، ففى الحديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر»[1]، ويقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أَظْلِم أو أُظلم»[2].

ومن كلام الرسول ﷺ أيضًا: «كاد الفقر أن يكون كفرًا»[3].

ويقول بعض رجال التصوف: «أكفر الناس ذو فاقة لا يصبر، وقَلَّ فى الناس الصابر». ويقول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «لو تَمَثَّلَ لى الفقر رجلا لقتلته».

ومما لاشك فيه أن العقيدة إذا ضعفت انحرف سلوك الإنسان (كذب، وخان، واختلس، وأخذ الرشوة) ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا غرم استدان، وحَدَّث فكذب، ووعد فأخلف...».. هذا لأن صوت المعدة أحيانًا يكون أقوى من صوت الضمير، خاصةً إذا كان بجوار الفقير الأغنياء الناعمون الطاعمون. وأبادر فأقول: «إن الجريمة ليست مقصورة على أكواخ الفقراء فقط، فكم من فقير مرت عليه الليلة تلو َالليلة ولا يجد إلاّ الماء يملأ به معدته وهو صابرٌ محتسب، فهناك جرائم للأغنياء أكثر وأبشع بكثير من جرائم الفقراء!!»..

(١) أخرجه النسائى والحاكم، وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى.
(٢) رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجة، والحاكم عن أبى هريرة.
(٣) أخرجه أبو مسلم الكشبى، والبيهقى فى الشُّعَب، من رواية يزيد الرقاشى.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[1].

وجرائم الأغنياء جمع المال، أو التحايل للوصول إلى المنصب، ومعظمها يرتكب فى الظلام ومن وراء الكواليس، وإذا ظهر أمرها، فإن مصيرها فى التحقيق الحفظ التام، أو قد تلصق بضعيف لا حول له ولا قوة، ويظن هؤلاء السادة أن الدنيا قد ضحكت لهم، فأصبحوا وقد امتلكوا السيارات الفارهة، والعمارات الفاخرة الشاهقة، والشقق المفروشة المتعددة، ويتبجح الواحد منهم ويقول: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[2].

كما جاء فى سورة الكهف فى الحوار الذى دار بين صاحب الجنتين، الذى نسى خالقه ولم يطعم مسكينًا من ماله، وتجاسر وتطاول على الرجل المؤمن الفقير الراضى المتواضع الذاكر لله، وما هى إلاّ أيام وتلفت الحديقة، وغاض الماء، وقضى الأمر، وافتقر الغنى.. ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[3].

وما ربك بظلام للعبيد. فإذا كنا قد بينا أن البطون الجائعة ترتكب

---

(1) سورة العلق ـ الآيتان ٦، ٧

(2) سورة الكهف ـ من الآية ٣٦.

(3) سورة الكهف ـ الآيات ٤٢ : ٤٤.

الجرائم فهناك أهل الترف الذين أبطرهم الغنى فنسوا اللّه فأنساهم أنفسهم، وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1].

إن جرائم الأغنياء سلب ونهب وجشع وطمع وطغيان، وعندئذ تكون قلوبهم قد أصبحت وعليها سد، فلا تفقه إلاّ لغة القرش، وكذلك أبصارهم لا ترى إلاّ الطريق الذى يوصل للقرش، وسمعهم لا يسمع إلاّ رنين الجنيه: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[2].

فجرائم الأغنياء نتيجة الجشع، وظن الواحد منهم أن ماله سيكون سببًا فى خلوده، وأنه لن يفنى أبدًا، وفى هذا جاء قول الحق: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٦.

(٢) سورة الفرقان ـ الآيتان ٤٣ ، ٤٤.

(٣) سورة الهمزة.

إن الجرائم لا تتوقف على الغنى أو الفقير، لأنها قاسم مشترك لكل أفراد المجتمع عند انعدام الضمير وفقدان الوازع الدينى.

لكن الفقر هو الكفر، وبسببه ينسى الإنسان الخالق ويخضع للمخلوق، لأن الفقر قرين الكفر، والمجتمع الفقير تكون سيادته فى خطر، وحريته معرضة للضياع، واستقلاله لا يتم، لأن الفقير المحتاج لا يكون عنده الحماس للدفاع عن كرامة أمته وأمن وطنه، مع أن الفقير صحته فى خطر، وينتج ذلك من سوء التغذية، ويصاب باضطراب نفسى لما يعتمل فى نفسه من تبرم وتضجر لا يصلحها إلاّ قوة الإيمان باللّه والثقة فيه.

لهذا فإن الإسلام أعلن الحرب على الفقر بأمثلة متعددة كثيرة نظرية وعملية.

أهمها:

١ـ بعض الفقر إلى النفوس وجعله قرين الكفر وأكثر النبى ﷺ من الاستعاذة منه: «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من العجز والكسل»[(١)]. ونهى الإسلام المسلمين أن يقعدوا عن طلب الرزق، لأن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة. والبطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية، فهى التى تهيئ للأفراد فرص التفكير فى مزاولة الإجرام

---

(١) رواه الإمام أحمد والشيخان عن أنس رضي اللّه عنه بلفظ، ورواه أبو داود وغيره، وفيه: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحزن، والعجز والكسل. . . »، وأخرجه أبو داود بلفظه.

والعمل السيئ على اختلاف الصور، ومن توجيه القرآن للمسلمين أن ينشطوا فى طلب الرزق والسعى فى مناكب الأرض والانتشار فى أرجائها لتحصيل الخير ونشر الفضيلة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١).

ويقول فى آية أخرى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢).

ولقد مر النبى ﷺ على شخص عابد زاهد يصوم النهار ويقوم الليل وهو منقطع للعبادة، فسأل رسول الله عمن يعوله، فقالوا: «كلنا يعوله»، فقال عليه الصلاة والسلام: «كلكم أعبد منه». ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إنى لأرى الرجل يعجبنى، فأقول: هل له حِرْفَة؟ فإن قيل: لا، سقط من عينى». وكان رضى الله عنه، إذا جلس فى مجلس الحكم وأتاه زائر سأله عَمَّا يحترف؟ فإن كان له حرفة احتفى به، وإلاّ ازدراه وأمره بالاحتراف والعمل. ومن كلام بعض السلف: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا». ولقد سُئل عروة بن الزبير: «ما شر شىء

(١) سورة الجمعة ـ الآية ١٠.

(٢) سورة القصص ـ الآية ٧٧.

فى العالم؟». . قال: «البطالة». ومن قول الإمام أحمد بن حنبل: «إذا جلس الرجل ولم يحترف دعته نفسه إلى أن يأخذ ما فى أيدى الناس».

إن الانقطاع للعبادة والإعراض عن العمل لا يقره الإسلام، وكذلك التفرغ لطلب العلم لا يكون إلاّ بعد ضمان وسائل العيش الشريف، حتى لا تمتهن كرامة العلم بجعل طُلاَّبه عالة على غيرهم، لهذا روى عن محمد بن ثور قال: «كان سفيان يمر بنا ونحن جلوس فى المسجد الحرام فيقول ما يجلسكم؟». . فنقول: «ما نصنع؟». . قال: «اطلبوا من فضل اللّه ولا تكونوا عيالاً على المسلمين. . لا يجب على الرجل طلب العلم إلاّ إذا كان عنده ولو ملء كفه طعامًا».

وإذا كان بعض الناس يزين لهم الكسل والبطالة وسوء الفهم لروح الإسلام أن يتغنى الواحد منهم فيقول:

إن البطالـة والكسـل   أحلى مذاقًا مـن العـل

ثم يقولون: «أرزاقنا على الله، ونحن نتوكل على اللّه». . ونرد على هؤلاء بأن هذا الزعم خاطئ، وقولٌ خبيث، وسمٌّ فى عسل، وحَقٌ أُريد به باطل، لأن الكسل والبطالة بُعْدٌ عن الطريق المستقيم، وانحراف عن المنهج الصحيح، فالإسلام دين عمل وجد واجتهاد، ولا رهبانية فى الإسلام. وإذا كان بعض الكسالى يحتج بقول رسول الله ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير،

تغدوا خماصًا وتروح بطانًا»[1]. وهذا الحديث يحث على العمل والسعى الدائب ويدعو إليه، لأن الطير تخرج من أعشاشها تعمل وتسعى، وتكد وتكدح، لأن الغدو فى أول النهار، وفيه تخرج الطيور من وكناتها[2]. وبطونها خاوية، فتظل تعمل وتعمل سعيًا وراء رزقها، وجريا وراء طعامها، تلتقط الحَبَّ بعد أن تقع على الأرض فتمتلئ بطونها، وتعود آخر النهار فى الدوحة وهى ممتلئة، أى: تروح بطانًا، أى: بطنها مملوء بالطعام الذى التقطته من كل مكان.

إن التوكل على الله واجب، ولكن يكون مع التوكل الأخذ فى الأسباب.

ابذر البذر وانتظر الثمر من الرب. مَنْ زرَعَ حَصَدَ، ومن جَدَّ وَجَدَ.

ويقول الشاعر:

وما نَيْـلُ المطالبِ بالتمـنِّي   ولكن تُؤْخَذُ الدنيـا غلابـا

ولقد ورد أن أعرابيًّا سأل رسول الله ﷺ قائلاً: «أأترك ناقتى وأتوكل أم أعقلها وأتوكل؟».. فقال عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكّل»[3].

---

(١) رواه أحمد والطيالى فى مسنديهما والترمذى وابن ماجه عن عمر مرفوعًا، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وحَسَّنه الترمذى.

(٢) الوكن بالفتح: عش الطائر فى جبل أو جدار. قال الأزهرى: وقد يقال لموقع الطائر موكن ومنه قوله: تراه كالبازى أنتمى فى الموكن (من لسان العرب: لابن منظور).

(٣) الحديث: رواه الترمذى عن أنس، ورواه الطبرانى عن أبى هريرة بلفظ «قيدها» وتوكّل.

ولقد سئل الإمام أحمد بن حنبل يومًا عن قوم لا يعملون ويقولون: «نحن متوكلون».. فقال: «هؤلاء مبتدعة، هؤلاء قوم سوء، يريدون تعطيل الدنيا».. وقال له رجل: «أجلسُ ولا أعمل شيئًا حتى يأتينى رزقى؟».. فقال: «هذا جهل العلم، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ: إن اللّه جعل رزقى تحت ظل رمحى..»[1].

والصحابة كانوا يتجرون فى البر والبحر، ويعملون فى نخيلهم، وهم قدوتنا وبهم نتأسى.

* * *

(١) وردت رواية للطبرانى عن ابن عباس وثقها ابن حبان وضعفها أبو حاتم وغيره. يقول ﷺ: «إن الله تعالى جعل لكل نبى طُعْمَةً وإن طعمتى هذه الخمس، فإذا قبضت فهو لولاة الأمر من بعدى» (ضعيف).

الفصل الثانى

العمل عبادة

لقد رفع الإسلام من شأن العمل وجعله بمنزلة العبادة التى يتعبد بها المسلم ابتغاء مرضاة اللّه، بل بلغ من إجلال الإسلام للعمل ما جاء فى الأَثَر: «إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها إلاّ السعى فى طلب المعيشة»[1].

إن القرآن لفت أنظار المسلمين إلى مناحى العمل المختلفة وطَرَقَ أبوابها، وفتح أمامهم آفاقها، وبيَّنَ لهم أن فى الأرض كنوزًا وخيرات كثيرة، وأن فى البحار والأنهار موارد رزقٍ لا تنفد، وطلب منهم أن يكونوا أقوياء الهمم، ويشدوا العزائم، ويعملوا عقولهم، ويستخدموا حواسهم التى أودعها الله فيهم للتنقيب عن الخيرات والكشف عنها والانتفاع بها، وعليهم العمل والسعى لاستغلال هذه الموارد الاقتصادية المختلفة، والتمتع بزينة الحياة وطيباتها وخيراتها.

إن القرآن يلفت النظر إلى موارد الرزق المتعددة، ومصادر الثروة

(١) رواه ابن عساكر عن أبى هريرة، .وقال: غريب جداً، وفيه محمد بن يوسف بن يعقوب الرقى (ضعيف).

على اختلاف أنواعها فيقول الحق جل جلاله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

ويقول أيضًا: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[3].

إن أنبياء الله الذين بعثهم الله برسالته، واختارهم لحمل الأمانة العظيمة ـ وحى الله ـ كان العمل من صفاتهم، فهذا نوح كان يصنع

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٩٩.

(٢) سورة الرعد ـ الآية ٤.

(٣) سورة عبس ـ الآيات ٢٤: ٣٢.

السفينة، وتلك مهنة النجارين، وداود كان حدادًا، يقول الله سبحانه: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[1].

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[2].

وموسى أجر نفسه على طعمة بطنه وحفظ فرجه، وتقرأ هـذا فى الحوار الذى دار بين موسى وبين الرجل الصالح الذى قال له: ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ﴾[3].

وسيدنا محمد ﷺ رَعَى الغَنَم لأهل مكة على قراريط، «أى: أجر معين». وكذلك تَاجَرَ لخديجة رضى الله عنها فى مالها قبل أن يتزوجها، وكان نعم الصادق الأمين. والقرآن يقص علينا قصة ذى القرنين الذى طَوَّفَ فى البلاد ونشر فيها الأمن والعدل ولم يقبل الرشوة أو يتعامل بها، وبين لنا فى ثنايا قصته طريقة لعمل الاستحكامات القوية التى رُكبت من مزيج كيماوى نتيجة لخلط الحديد بالقطر وصهرهما بالنار، ففى سورة الكهف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا

(١) سورة سبأ ـ من الآية ١٠ .

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية ٨٠.

(٣) سورة القصص ـ من الآية ٢٧ .

ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[1].

والقرآن يلفت النظر إلى أن الحديد مصدر خير كبير وأهم دعامة فى الصناعات، فيقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[2].

إن الإسلام أوجب العمل على كل قادر، وجعله وظيفة كل كائن حى فى هذا الوجود، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3].

إن الأرض لا تعطى الخير إلاّ للجادين العاملين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[3].

والصالح فى الآية هو الذى يستعمل مواهبه، ويستغل أنشطة فكره وعلمه، وقدراته للارتقاء بالحياة الدنيا، والارتفاع بمواهبه للتقدم العمرانى والازدهار الحضاري، ولذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول مخاطبًا الفقراء: «يا معشر الفقراء، ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عالة على المسلمين».

---

(١) سورة الكهف ـ الآيات ٩٤: ٩٧.

(٢) سورة الحديد ـ من الآية ٢٥

(٣) سورة الكهف ـ الآية ٧.

(٤) سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٥

ويقول حاثًا لهم على العمل: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تُمطر ذهبًا ولا فضة». ولقد تعلَّم عمر هذا من توجيهات نبى الإسلام العظيم الذى يقول: «إن الله يحب العبد المؤمن المحترف»[1].

ويقول الإمام على كرّم الله وجهه: «من مات تَعِبًا من كسب الحلال ماتَ والله عنه راض».

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يومًا فقال: «يا أيها الناس كُتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغى فيه من فضل الله عز وجل، فإن فيه العبادة والتصديق، وأيم اللّه لأن أموت فى شعبة رحلى وأنا أبتغى بمالى فى الأرض من فضل اللّه، أحبُّ إلىَّ من أن أموت على فراشى».

وحارب الإسلام الفقر اجتماعيًا، بأن أمر بالزكاة والصدقة، والإحسان والبر، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى

---

(١) الحديث رواه الطبرانى فى الكبير، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وابن عدى فى الكامل، والبيهقى فى شُعب الإيمان، وابن النجار عن ابن عمر.

ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

ويقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وسوف نتناول هذا الركن بالتفصيل.

إنَّ الإسـلام فـى سبيـل الصـالـح العـام للأمـة والجمـاعة أخضـع الأمـوال والملكيـات وجميـع المـوارد الاقتصادية لما يعود عليهم جميعًا بالخير والرفاهية، وصدق الله العظيم إذْ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3].

لقد حارب الإسلام الفقر الأدبى فى نفوس الناس، فلا خضوع إلاّ لله الذى خلقك ورزقك، وهو وحده عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفسٌ ماذا تكسب غدًا، وما تدرى نفسٌ بأى أرض تموت، إن الغنَى الحقيقى هو غنَى النفس، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]. وفى حديث رسول الله ﷺ: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن

---

(1) سورة البقرة ـ الآية ١٧٧.

(2) سورة التوبة ـ الآية ١٠٣.

(3) سورة التوبة ـ من الآية ٣٤.

(4) سورة الحجرات ـ من الآية ١٣.

الغنى غَنَى النفس»[١]. وقوله: «ليس لعربى فضل على أعجمى إلاّ بالتقوى. كلكم لآدم وآدمُ من تراب»[٢]. . والإسلام يبين أن المقياس الحقيقى للإنسان هو إيمانه وإخلاصه فى أداء الواجب المنوط به، وأن ما تعارَفَ عليه الناس أنه من الإسلام وما رسخ فى أذهانهم الناس قديمًا وردده الشعراء فى قولهم:

إنَّ الغنىَّ إذا تكلم كاذبًا ... قالوا: صَدَقْتَ، وأنطقوا ما قالا

أمَّا الفقير إذا تكلم صادقًا ... قالوا: كَذَبْتَ، وأبطلوا ما قالا

إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجلالا

فهى اللسان لمن أراد تَكَلُّمًا ... وهى السلاح لمن أرادَ قتالا

فليست من تعاليم الإسلام الذى يقول: «من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضَلَّ فإنما يضل عليها». «ومَنْ أصدق من الله حديثًا». . لكنَّ ما أشار إليه الشاعر فإنها مقاييس فاسدة، وتأمل ما رُوِىَ عن سعد بن أبى وقَّاص رضى الله عنه. . قال: «كنا مع النبى ﷺ ستة نفر»، فقال المشركون للنبى ﷺ : «اُطْرُدْ هؤلاء لا يَجْتَرِئُونَ علينا»، وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء له أن

(١) الحديث رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، والعَرَض (بفتح العين المهملة والراء): هو كل ما يُقْتَنَى من المال وغيره.

(٢) ورد فى رواية للإمام البيهقى، وورد فى خطبة الوداع، وهى مشهورة، رواية البزار: «كلكم بنو آدم، وآدم خُلق من تراب».

يقع، فَحَدَّثَ نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(١).

وعن أبى هبيرة عائذ بن عمرو المزنى - وهو من أهل بيعة الرضوان - رضى الله عنه، أن أبا سفيان أتى على سلمان، وصُهيب، وبلال فى نفر، فقالوا: «ما أخذت سيوفُ الله من عُنق عدو الله مأخَذَها»، فقال أبو بكر رضى الله عنه: «أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم!!. لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك!». . فأتاهم فقال: «يا إخوتاه أأغضبتكم؟؟»، قالوا: «لا، ويغفر الله لك يا أخى»(٢).

وروى البخارى عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما، قال: «رأى سعد أن له فضلاً عَلَى مَنْ دونه». . فقال النبى ﷺ: «وهل تُنصَرُون وتُرزقون إلاّ بضعفائكم؟!»(٣).

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما: «ملعونٌ من أكرم بالغنى وأهان بالفقر». والذى يعظّم الغنى لغناه، ويحتقر الفقير لفقره ناقص

(١) سورة الكهف - الآية ٢٨.

(٢) رواه مسلم [صحيح مسلم جـ٧ ص ١٧٣ - ط صبيح].

(٣) رواه البخارى عن مصعب بن سعيد بن أبى وقاص. ورواه أبو نعيم عن مسعد والنسائى.

الإيمان، ففى الأثر: «من عَظَّم غنيًا لغناه ذهب ثُلثا دينه، فليتق الله فى الثلث الآخر». ويتحدث رجل اسمه «المؤمل» فيقول: «ما رأيتُ الغَنىَّ أَذَلَّ منه إلا فى مجلس الثورى ولا رأيت الفَقير أعز منه إلا فى مجلس الثورى»[1].

إن معايير الرجال تظهر من خلال أعمالهم وأقوالهم، وقناعتهم ورضاهم، لأن هذا أثر لنفوسهم العالية وهممهم الكبيرة. وصدق من قال:

صُنِ النفس واحملها على ما يزينها تَعِشْ سالمًا والقول فيكَ جميلُ
ولا تُرِيَنَّ الناسَ إلاّ تجمُّلا نَبَابِكَ دهرٌ أو جفاكَ خليلُ
يعز غَنِىُّ النفسِ إنْ قَلَّ ماله ويفنى غنى المال وهو ذليل

* * *

(١) يعنى: سفيان الثورى.

الفصل الثالث

محاربة الإسلام للتسول

المهنة فى نظر الإسلام مهما كانت قيمتها فهى أكرم وأشرف من ذل السؤال ومرارة الحاجة، والتسول فى نظر الإسلام جحيم وسعير، والسائل لا يأخذ من الناس مالاً وإنما يأخذ ناراً حامية، ففى الحديث الذى رواه الطبرانى عن على كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سألَ الناسَ عن ظهر غِنًى استكثر بها من رضف جهنم. قالوا: وما ظهر غِنًى؟ قال: عشاء ليلة»[1].

وروى ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل الناس ليثرى ماله، فإنما هى رضف من النار ملهبة، فمن شاء فليُقِلَّ، ومن شاء فليكثر»[2].

والمعنى واضح، فمن اتخذ التسول مهنة يسأل الناس وهو لا يعمل

---

(١) رواه ابن حبان، وابن شاهين، وتمام عن عمر، وهو حديث صحيح. وفى رواية ابن جرير فى تهذيبه، والطبرانى عن حبشى بن جنادة.

(٢) قال السيوطى رواه ابن حبان وابن شاهين.. وانظر: جامع الأحاديث للسيوطى (جـ ٦ ص ٣٩٦ ـ ط الأزهر).

فإن اللّه يعذبه عذابًا أليمًا. إن اللّه أمر الناس بالمشى فى الأرض والأكل من رزقه. . فَلِمَ السؤال؟ وهو ذلٌ للنفس وهوانٌ لها، إذ ضاق الرزق فى مكان فارحل لآخر أو اصبر مع الأخذ بالأسباب.
ولله دَرُّ القائل:

وإنْ ضاقَ رزقُ اليومِ فاصبْر إلى غَدِ
عَسَى نكَباتُ الدهرِ عنكَ تزولُ

وكذلك قول الآخر:

وأَكْلُ كُسَيْرة في جنبِ بيتى
أَحَبُّ إلىَّ من أكلِ الرغيفِ
ولبسُ عباءةٍ وتقرُّ عينى
أحبُّ إلىّ من لبس الشفوفِ

أى أن الصبر على شظف العيش أفضل من سؤال الناس.
ذلك:

صُنْ حُرَّ وجهِكَ لاتهتك غلالته
فكل حرّ لحرّ الوجه صوان
دَعِ التكاسُلَ فى الخيراتِ تطلبها
فليس يسعد بالخيرات كسلان
كَفَى من العيش ما قد سَدَّ من عَوَزٍ
ففيه للحُرِّ قنيان وغنيان

إن النبى ﷺ كان يعلّم أصحابه ألاّ يسألوا الناس شيئًا، وهذا لونٌ من التربية فى الاعتماد على النفس. وفى الحديث: «المؤمن القوىّ خيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»[1].

إن الفضيلة فى الإنسان تعلّمه الورع، وتجنبه الصفاقة، وتبعده عن قالة السوء، ثم هى تدفعه لأن يتحلَّى بالمروءة والشرف. روى أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال: «بايَعَنى رسول الله ﷺ خمسًا، وأوثقنى سبعًا، وأشهد الله علىّ سبعًا: أن لا أخاف فى الله لومة لائم».. قال أبو المثنى: قال أبو ذر: فدعانى رسول الله ﷺ فقال: «هل لك إلى البيعة ولك الجنة؟».. قلتُ: «نعم».. وبسطتُ يدى، فقال رسول الله ﷺ وهو يشترط علىَّ ألَا أسأل الناس شيئًا. قلت: «نعم».. قال: «ولا سوطك إنْ سَقَطَ منك حتى تنزل فتأخذه».. ثم قال له: «أُوصيكَ بتقوى الله فى سرِّ أمرك وعلانيته، وإذا سألتَ فَأَحْسنْ، ولا تسألنَّ أحدًا شيئًا، وإن سقط سوطك، ولا تقبض أمانة»[2].

فهل رأت الإنسانية مثل هذا التوجيه الذى يعجز عنه علماء التربية؟ .. لقد قال أجدادنا: «ما حَكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفْرِكَ. فَتَوَلَّ أنتَ جميع أمرك».

روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أن رجلاً جاء للنبى

---

(١) رواه مسلم، والإمام أحمد، وابن ماجة عن أبى هريرة، وهو حديث (حَسَن) كما رواه الطحاوى وأبو نعيم فى الحلية.

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبى ذر، وهو حديث حسن صحيح (الترغيب ٨٠٤).

ﷺ وقال: «يا رسول الله، أوْصِنِى وأوْجِزْ». . فقال النبى ﷺ :
«عليكَ بالإياس ممَّا فى أيدى النَّاس، وإيَّاكَ والطمع، فإنه فقرٌ
حاضر، وإيَّاكَ وما يُعتَذَر منه»(١).

إن معلم الإنسانية العظيم كان يوجه الناس للعمل ويحثهم عليه،
فلقد جاءه رجل من الأنصار يسأله - «يعنى يتسول» - فقال له رسول
الله ﷺ : «أما فى بيتك شىء؟» قال: «بلى، حلس نلبس بعضه
ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء». . قال: «ائتنى بهما»، فأتاه
بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشترى هذين؟» قال
رجل: «أنا آخذهما بدرهم». قال رسول الله ﷺ : «من يزيد على
درهم مرتين أو ثلاثًا؟» قال رجل: «أنا آخذهما بدرهمين». فأعطاهما
إيَّاه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما
طعامًا فانبذه إلي أهلك، واشتر بالآخر قَدُّومًا فَائْتِنى به» فأتاه به،
فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال: «اذهَبْ فاحتطبْ وبِعْ،
ولا أَرَيَنَّكَ خمسةَ عَشَر يومًا»، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة
دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ :
«هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة. إن
المسألة لا تصلح إلاّ لثلاث: لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع، أو
لذى دم موجع»(٢).

---

(١) رواه الحاكم والبيهقى، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أبو داود والبيهقى، واللفظ لأبى داود. وأخرج الترمذى والنسائى منه قصة بيع القدح فقط، وقال الترمذى: حديث حَسَن.

إن هذا التوجيه من نبى الإنسانية ومعلم البشرية لرجل من أمته هو درسٌ للجميع، عليهم أن يتعلموا منه ويعلموه للناس. وفى الحديث: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه»[1].

إن لذة اللقمة التى يأكلها الإنسان هى التى يحصل عليها من عرق جبينه وتعب جسمه، ومن هنا جاء عن النبى ﷺ : «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى اللّه داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[2].

هذا مثلٌ عظيم لخير الطعام وأهنأه، وهو ما يحصل عليه الفرد من كده وكدحه، ولم يكن استجداءً وتكففًا. إن أى عمل ـ جل أو حقر ـ ولو بجمع الحطب، خيرٌ وأفضل من السؤال، وإن صبر على الجوع وشكا أمره إلى اللّه ـ وهو يسعى لإيجاد عمل ـ خير وأشرف، ففى الحديث الذى رواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «من جاع أو احتاج فكتمه عن الناس، وأَفْضَى به إلى الله تعالى كان حقّا على الله أن يفتح له قوت سنة من حلال»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد، والبخارى، وابن ماجة عن الزبير بن العوام، .وهو حديث صحيح [غاية المرام ـ ١٥٦].

(٢) رواه الإمام أحمد والبخارى عن المقدام، وهو صحيح [غاية المرام ـ ١٦٣].

(٣) قال الإمام الهيثمى: رواه الطبرانى فى الصغير، والأوسط، وهو ضعيف [مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٢٥٦ جـ القدس].

وجاءَ عن بعض الصالحين: «أن رجلا جاع وهو فى الصحراء فقال: يارب، أين رزقك الذى وعدتنى به؟ فرزقه اللّه الشبع»..

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(1).

ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾(2).

إن اللّه وجه أنظارنا إلى أن نتوجه بالصدقة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾(3).

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «مكسبة فى دناءة خيرٌ من سؤال الناس».. أى الكسب من أى عملٍ حتى ولو كان محتقرًا فى نظر البعض.

إن الإسلام يمقت التسول وينهى عنه، ويبغض المتسولين، ويتوعدهم بالخزى فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة، أمّا ما نراه من الذين احترفوا التسول واتخذوه مهنة فهم يخالفون أمر الإسلام

---

(1) سورة المؤمنون ـ الآية ٧٢.

(2) سورة الحجر ـ الآية ٢٠

(3) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٣.

الذى يأمرنا أن نأخذهم بشدة ولا نتهاون معهم، لأن ذلك تعطيل لقدراتهم التى يجب أن تستغل فى العمل والإنتاج، خاصةً أن بلادنا واسعة، وهى جيدة التربة، والماء منها قريب، ولا تحتاج إلاّ لسواعد أبنائنا الذين يفضلون السفر إلى الخارج، ونقرأ في الصحف أنهم يقومون بغسل الأوانى ومسح البلاط!! فلو أن تلك القوى اتجهت إلى الوادى الجديد، أو مرسى مطروح، أو البحر الأحمر، أو سيناء، أو «توشكى»، أو مدن القناة، وعمرنا البرارى، وأطراف محافظة الشرقية، وكلما اتجهت صوب محافظة من بلادنا لهالَك تلك المساحات الشاسعة التى هى فى حاجة إلى السواعد القوية، والعزائم الفتية، والهمم الشابة، لتنقب عن الخير المدفون فى باطنها. . لو نَفَّذْنَا ذلك لعم الخير بلاد المسلمين ومن يلوذ بهم.

إن الاستعمار هو الذى علمنا الكسل، وغرس فينا البطالة ليحتل بلادنا، فلنعلم جميعًا أن الإسلام يعلن الحرب على ذلك للقضاء على الفقر الذى هو عدو الأمم، وقاتل نخوة الحرية فيهم. إن سيناء التى ظلت تحت أيدينا من الأزل عندما زحف عليها اليهود عام ١٩٦٧م بنوا عليها المستوطنات، واتخذوا على جبالها المطارات، واستنزفوا منها الخيرات، وها هى ذى اليوم عادت إلينا بعد أن رفعنا راية الحرية عليها عام ١٩٧٣م، فماذا نحن فاعلون؟ إن كل عاقل عليه أن يسعى

للعمل، وإن لم يجد فعليه الانتقال من مكان ضاق فيه الرزق إلى مكان آخر يجد فيه الخير لنفسه ومجتمعه: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[1].

* * *

(١) سورة النساء ـ من الآية ١٠٠

الفصل الرابع

معاملات مالية حرّمها الإسلام

لقد بلغ من تقديس الإسلام للعمل أن نظر الى الذين يعملون ولا يتكففون الناس نفس النظرة التى ينظر بها إلى المجاهدين فى سبيل الله وسوَّى بينهم فى الأجر، يقول الله تعالى" «﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾»(١).

ولقد رُوىَ أن أصحاب رسول الله ﷺ رأوا رجلاً قويًا، جَلْدًا، فتمنى الصحابة لو كان خَرَجَ يُجاهِد فى سبيل الله.. فعلّمهم النبى ﷺ، أنه إذا كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله.. ففى رواية الإمام البخارى: «قال رسول الله ﷺ : عن كعب بن عُجْرَةَ رضى الله عنه قال: مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله، ﷺ من جَلَدِه ونشاطه، فقالوا: يارسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ : إن كان خرج يسعى على أولادٍ صغار فهذا فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى

(١) سورة المزمل ـ من الآية ٢٠.

على أبوين شيخين كبيرين فهذا في سبيل الله، وإن كان خرج ليسعى على نفسه يُعِفّها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً وتفاخراً فهو فى سبيل الشيطان»[1].

وعن طريق العمل الشريف فإن مكسبك منه حلال، فحاول ألاّ يصيبه شيء من التلوث، لأن الإنسان سيُحاسب أمام ربه عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وهو في يدك تتمتع به فى الحلال أيضًا، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ: «نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح»[3].

وحق المال أن تشكر الله عليه، وشكر الله أن تبتعد عن كل شيء يغضبه، لذلك حرّم الإسلام كل أبواب لزيادة الدخل من غير الطرق المشروعة مثل:

١ـ السرقة:

فقد حرّم الله السرقة مهما كان الشيءُ المسروق صغيراً، ونهى عن

---

(١) ورواه الطبرانى أيضًا، ورجاله رجال الصحيح. [الترغيب والترهيب ـ جـ ٢ ص ٣٦١ ـ طبعة الأوقاف].

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية ٣٢.

(٣) الحديث رواه أحمد، وابن منيع، عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه. [كشف الجفاء ومزيل الالتباس ـ جـ ٢ ص ٤٤٢].

هذا اللون من كسب المال، وأمر بقطع يد السارق جزاءً له على أَخْذِ مال غيره خفيةومن كان يمارس هذا السوء فهو منبوذٌ من الناس جميعًا، مُطارَد من رجال السلطة، مهددٌ بالضبط، خائفٌ وجل، لا يهدأ له بال ولا يستريح في حياته، والحد في الإسلام قطع اليد، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(١).

ومهما كانت شخصية السارق فلابد من القطع.

٢ـ الاغتصاب والسلب والنهب:

حرّم الإسلام أن يغتصب الإنسان مال غيره لأي سبب من الأسباب فالله سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وفي الحديث: «من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقَهُ يوم القيامة من سبع أرضين»(٣).

وفي الأثر: «من انتهب نهبة فليس منا»(٤).

(١) من سورة المائدة ـ من الآية ٣٨.

(٢) من سورة البقرة ـ الآية ١٨٨.

(٣) رواه الإمام أحمد والشيخان، عن عائشة، وعن سعيد بن زيد. . وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد والضياء المقدسي عن أنس، والإمام أحمد، وأبو داود، وقد رواه الضياء المقدسي في سننه عن جابر [المشكاة ٣٩٤٧].

وفى الحديث: «ألاّ لا يحل مال امرئ إلاّ بطيب نفس منه»[1].

وكذلك: «كل المسلم على المسلم حرام»[2].

٣ـ حَرَّمَ الغبن والظلم:

وذلك كتطفيف المكيال وبخسر الميزان، يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وفى آية أخرى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾[4].

وفى الحديث.. قول رسول الله ﷺ: «وما بخس قوم المكيال والميزان إلاّ أُخِذُوا بالسنين وشدة الـمُؤْنَة وجور السلطان»[5].

---

(١) ورواية الإمام ابن حبان: لا يحل لمسلم أن يأخذ عصًا بغير طيب نفس منه، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ورواه أبو داود، وابن ماجة، وعزره الترمذى، وقال حديث صحيح.

(٣) سورة المطففين ـ الآيات من ١: ٥

(٤) سورة الرحمن ـ الآيات من ٧: ٩

(٥) الحديث رواه ابن ماجة، والبزار، والبيهقى، والحكم، وهو صحيح على شرط مسلم.

٤ـ وحرّم الغش فى المعاملة:

ففى الحديث: «مَنْ غَشَّنَا فليس منا»[١].

إن كل ربح نتيجة الغش فى البيع والشراء فهو حرام على صاحبه، وكل جسد ينبت لحمه من مال سُحت نتيجة للغش فهو فى النار، وفى الحديث: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»[٢].

إن كل مسلم عليه أن يحتاط ويحافظ على الحلال، ويراقب الله، لأن التاجر الصادق الأمين يُبعث يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وفى الحديث: «البَيِّعَانِ بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صَدَقَا وَبيَّنَا بُورِكَ لهما فى بيعهما، وإن كتماَ وكذبا محقت بركة بيعهما»[٣].

٥ـ وحـرّم الاحتكـار:

وهو أن يشترى الإنسان البضائع ثم يخزنها فى محله، حتى إذا شحت من السوق طرحها بسعر غال، وهو يتحكم فى السوق عندئذ، فمن فعَل ذلك ليربح فهو مخطئ، ففى الحديث: «من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله وبرئ الله منه»[٤].

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رفعه، وورواه ابن عنيسة عن العلاء والعسكرى صحيح.
رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود، وهو حديث صحيح.
(٢) رواه الطبرانى وأبو نعيم في الحلبة عن أبى بكر، وهو حديث صحيح.
(٣) رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن حكيم بن حزام، وهو صحيح.
(٤) الحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على.

وفى حديث آخر: «من احتكر فهو مخطئ».

وفى سنن ابن ماجه: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[1]. لهذا يجدر بالإنسان أن يبتعد فى معاملاته وكسبه عن هذا الذى حرّمه الله ورسوله.

٦ـ حرّم الإسلام الاتجار فى المحرمات والأعراض:

كأن يقوم الإنسان ببيع الخمر والخنزير، ولعب القمار، وكل شىء على شاكلته، كأوراق اليانصيب، وسباق الخيل، والاتجار فى المخدرات، والأشياء المهربة، والحاجات المسروقة، وفى سبيل الحفاظ على العرض جاء قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾[2].

وفى الحديث بخصوص الكسب الحرام جاء قول رسول الله : «من اكتسب مالاً من حرام فإن تصدق به لم يُقْبَلْ منه، وإنْ تركه وراءه كان زاده إلى النار»[3].

٧ـ حَرَّمَ أكل مال اليتيم:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[4].

(١) رواه ابن ماجة، والحاكم، والدارمى، وأبو يعلى وغيرهم عن عمر بن الخطاب.

(٢) سورة النور ـ من الآية ٣٣.

(٣) الحديث له روايات متعددة بألفاظ مختلفة فى رواية ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ورواه الحاكم، والطبرانى، وأبو داود في المراسيل، وهناك رواية للإمام أحمد وغيره.

(٤) سورة النساء ـ الآية ١٠.

وعلى الوصى أن يعمل على زيادة مال اليتيم باستثماره وعدم أخذ أى شىء منه إلاّ بحق الإسلام.

٨ـ حرّم الإسلام الربا:

لأن الربا ما شاع فى مجتمع إلاّ شاع معه الحقد والحسد، والتباغض والتنافر. والربا له أثر سيئ فى تفكك المجتمع، وإثارة الأنانية، لأنه كسب وربح بلا عمل، ولأنه إقراض المحتاجين المضطرين نظير جزء زائد على ما أخذوه، فكأن الدائن يستغّل احتياج المحتاج، فلا يفرج كربته إلاّ بثمن باهظ، ومن هنا تزيد الثروة وتتضخم في أيدى المرابين الذين لا يمارسون أى نشاط تجارى، والإسلام لا يقرّ الربا بأى حال من الأحوال ـ قل أم كثر ـ تستر فى مسمياته أو ظهر. وإذا كانت الرأسمالية تبتكر الآن مسميات وأساليب براقة تخدع السذج وتبهرهم بالربح، فإننا نهيب بالمسلمين أن يبتعدوا عن التعامل الربوى، لأن الله سبحانه أعلن الحرب على كل من يزاول الربا ـ أخذًا وعطاءً ـ يقول الله سبحانــه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[1].

إن الإسلام يحرّم الربا، لأنه من غير المعقول أن يظل العامل البائس أو الفلاح المسكين أو الموظف الصغير كل واحد منهم يسعى

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩.

ويكدح ثم يأتى المرابى ويستغل كل واحد منهم، لأن الربا هو إقراض المحتاجين المضطرين نظير جزء من المال، فكأن صاحب المال لا يُفرّج كربة المحتاج إلاّ بثمن، وهو ربح بلا عمل، أخذاً من الذين ألجأتهم الحالة إلى الاستدانة، فيقوم المرابى ويزيد، إذا أعطى المحتاج جنيهًا مثلاً اشترط أن يرده الآخِذُ وفوقه عشرون قرشًا أو خمسة وعشرون، فالزيادة حرام، يأخذها المرابى قطعة من جهنم يبتلعها فى جوفه، ثم يكون مصير ماله الـمَحْقَ وقلة البركة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾(١).

والرسول ﷺ يقول مبينًا لنا عذاب الذين يستحلون هذا النوع من التعامل، ففى الحديث: «رأيت الليلة رجُلَيْنِ أتيانى فأخرجانى إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رماه الرجل الذى على الشط بحجر فى فيه، فردَّه حيث كان، فجعل كلما أراد أن يخرج رمى فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قال: آكِلُ الربا» [رواه البخارى].

وما رواه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ حقٌ على الله ألاّ يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه». وقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «أن

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٦.

رسول الله ﷺ لما عُرِجَ به إلى السماء نظر فى سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظَام، قد مالت بطونهم وهم مُنَضَّدُون. . قال الأصبهانى: منضدون، أى: طُرِحَ بعضُهم على بعض سابلة آل فرعون[1]، يوقفون على النار كل غداة وعشى، يقولون: ربنا لا تقم الساعة أبدًا. فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ الربا من أُمَّتِكَ لا يقومون إلاّ كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المَس»[2].

إن الذين يأكلون الربا هم أنصار الشياطين، استحوذ عليهم وأغواهم بالمكسب والغِنَى، وهذا وهم، لأن المكسب الذى يكون من أنين الضعفاء، وزفرات المحتاجين، ودموع المساكين، لا يتمتع صاحبه باللذة والسعادة، وإنما هو عبد للمال يجمعه ويكدسه ثم يتركه خلف ظهره ليدفع به إلى جهنم ويتمتع به غيره، وتقول العامَّةُ: «مال الكُنزى للنزهى». إنَّهُ يُحاسَب على المال، من أين جمعه؟ ولِمَ بخل به؟ ولا يدفع عنه من تمتع به من ورثته، لأنه: «لا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ

(١) السابلة: المارة. أى تطؤهم آل فرعون الذين يُعرضون على النار كل غداة وعشى، وهذا من الإهانة والاحتقار لآكل الربا ومؤكله. وإذا كان الله سبحانه قد توعد آكل الربا بالحرب، فعن سعيد بن جبير أنه يقال لآكل الربا يوم القيامة: خذ سلاحك للحرب. ويقول ابن عباس رضى الله عنهما: أى استيقنوا بحرب من الله ورسوله.

(٢) رواه الشيخان والإمام أحمد عن سمرة، وهو حديث صحيح [صحيح الترغيب ص ٥٧٧ ـ ج ٢ ص ١٩٠].

أخرى» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1].

ويقول الشاعر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

إن آكِلَ الربا الذى يجمع المال ويحرم من التمتع به ويُحاسَب عليه أشد الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون نُذكّره بقول الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[2].

وعن جابر رضى الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكِل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء»[3].

كما أن هناك أضراراً تلحق بآكل الربا، وهى أنه:

١ـ يصيبه الهلاك والأمراض. روى البيهقى أن رسول الله ﷺ قال: «يامعشر المهاجرين: خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، ولم

(١) سورة لقمان ـ من الآية ٣٣.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ٦٥.

(٣) رواه الإمام أحمد، ورواه الإمام مسلم عن جابر، وهو حديث صحيح [مختصر مسلم ٩٥٥، وأحاديث البيوع صحيح مسلم جـ ٥ ص ٥٠].

ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ منعوا القَطْر من السماء. ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاّ سُلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلاّ جعل بأسهم بينهم»[1].

٢ـ مطرود من رحمة الله، وملعون على لسان رسول الله ﷺ.

٣ـ يكون فى حرب مع اللّه. والإنسان ضعيف مهما كان، والله هو القوى العزيز، فأولى بالضعيف أن يبتعد عن كل شىء يُغضب القوى العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[2].

٤ـ انتشار الزنا علامة من علامات قرب يوم القيامة.

٥ـ يخرج آكِلُ الربا من قبره يوم القيامة مجنونًا مخبولا يتخبط كمن مَسَّهُ الشيطان. يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ

---

(١) رواه البيهقى والحاكم عن ابن عمر، وهو حديث صحيح.
(٢) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

٦ـ مهما كثرت أموال آكل الربا فهو منها محروم، كما أنها سريعة الزوال.

٧ـ يموت كثير منهم فى حالة ضيق وفقر، مال الناس كناس، وما جمعته النملة فى سنة يأخذه الجمل فى خفِّه. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[2].

والإسلام وقد حرّم الربا أخذًا وعطاءً فإنه لا يفوته تقدير الظروف التى قد تمر بالإنسان عندما تُصادفه أزمات مالية وضائقات مادية تضطره لأن يمد يده للموسرين للاستدانة، هنا يُبرز الإسلام عاطفة الرقة والرحمة والأخوَّة، فيحث الأغنياء ومن بيدهم فضل مال أن يقرضوا المحتاجين «قرضًا حسنًا»، بلا زيادة، فنجده يقول: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

والمسلم إذا قَدَّمَ عونًا لأخيه وأقرضه فى وقت العُسر فهو كصدقة تصدق بها، ففى الحديث الذى رواه البيهقى عن عبد اللّه بن مسعود رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: «كل قَرض صدقة». وقد قال الله

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٦.

(٣) سورة التغابن ـ الآية ١٧.

تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1].

وإذا كان ثواب الصدقة عشر حسنات، فإن ثواب القرض الحسن عند الله أعظم وأكبر، ففي حديث البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «رأيت ليلة أُسْرِىَ بي على باب الجنة مكتوبًا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟، قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلاّ من حاجة»[2].

إن الإنسان المحتاج الملهوف الصادق تعطيه أنت «سُلفة» من مال الله ليرد به غائلة الجوع أو بطش العراء، فإن ذلك يساوى بذل النفوس فى ميدان الجهاد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٥.

(٢) رواه ابن ماجة عن أنس عن النبى ﷺ [جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٤ ص ١٩٤].

(٣) سورة الصف ـ الآيات من ١٠ : ١٣.

وإذا اقترض منك مقترض فيسِّرْ عليه فى الدفع ولا تُرهقه، ففى الحديث الذى رواه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه فى الدنيا والآخرة»، والقرآن يرشدك ويوجهك إلى الخير العظيم والسعادة فى الدنيا، والنجاة فى الآخرة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

إنَّ الدَّيْنَ هَمٌّ بالليل، يقض مضجع المَدِين، ويقلق باله، ويؤرقه من نومه، ثم هو بالنهار ذل وغم، يجعل المدين يتوارى عن الدائن إذا رآه..

ولما كان الإسلام هو الظل الظليل الذى يجتمع الناس تحت رايته، يلفهم بالحب، ويدثرهم بالأخوة، ويجمع بينهم بآصِرَة التعاطف، فإنه ملأ قلب الغنىِّ بالرحمة، وحث أصحاب الأموال والموسرين على إقراض الفقراء والمحتاجين، والمبادرة بتفريج كرباتهم، وحل أزماتهم، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفّس عن مُعْسر أو يضع عنه.. مَنْ أنظَرَ مُعْسِرًا أو وضع عنه، أظلَّه الله فى ظله»(٢).

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٠.

(٢) هكذا برواية مسلم والطبرانى.

والإسلام وهو يحث على القرض الحَسَن، ويدعم ذلك فى نفوس أتباعه، نراه يحث المَدين على سد دَيْنه، ويحذره من المماطلة فى أداء ما عليه، ففى الحديث عن النبى ﷺ : «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أَدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللّه»[1]. وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعظم الذنوب عند اللّه أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها، أن يموت الرجل وعليه دَيْن لا يدع له قضاء»، وقوله: «مَطَل الغنى ظلم»[2].

إن الرجل إذا مات فإن روحه تكون مرتهنة بِدَيْنِه، لا تصعد إلى السماء، وإنما تكون معلقة، ففى الحديث الذى رواه الطبرانى عن أنس قال: «كنا عند النبى ﷺ، فأُتِيَ بِرَجُلٍ يصلى عليه، فقال: هل على صاحبكم دَيْنٌ؟» قالوا: «نعم».. قال: «فما ينفعكم أن أصلى على رجل مرتهن فى قبره لا تصعد روحه الى السماء، فلو ضمن رجل دينه قمت فصليتُ عليه فإن صلاتى تنفعه».. والنبى ﷺ ـ وهو المعلم والمرشد ـ كان يمتنع عن الصلاة على الرجل إذا مات وعليه دَيْن، لأن الصلاة رحمة وطلب للمغفرة، ومن أخذ أموال الناس فلم يسددها ولم يكن فى نيته الأداء فهو هالك. فقد روى أحمد عن جابر رضى الله عنه قال: «توفى رجل فغسلناه وكفنّاه

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه ابن ماجة فى كتاب الصدقات ـ باب الحوالة (رقم ٢٤٠٤).

وحفظناه، ثم أتينا رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فقلنا: نصلى عليه، فخطا خطوة، ثم قال: أعليه دين؟، قلنا: ديناران، فانصرف، أى لم يصل فتحملهما أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران علىَّ، فقال رسول الله ﷺ: قد أَوْفَى الله حق الغريم وبرئ منهما الميت؟ قال: نعم. فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيومين: ما فعل الديناران؟ قلت: إنما مات أمس. قال فغادَ إليه من الغد، فقال: قد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ : الآن بردت جلدته».

وإذا كنا نتكلم عن الدَّيْنِ وأنه واجب الأداء فقد أرشدنا ربنا جل جلاله، أن الدائن والمدين عليهما أن يكتبا الدين ويحدداه، يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾[1].

والذين يتزوجون النساء بالدَّيْن على أنهم سيسددون المهر أو الصداق، ثم يضحكون على زوجاتهم ولا يسددون ما عليهم، لهم الويل والثبور، والعذاب الأليم، روى الطبرانى عن ميمون الكردى عن أبيه رضى الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قَلَّ من المهر أو كثر، ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها خَدَعَهَا فمات ولم يؤد إليها حقها، لقى الله يوم القيامة وهو زانٍ. وأيما رجل استدان دَيْنًا لا يريد أن يؤدى صاحبه

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٢.

حقه خدعه، حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إليه دينه لقى الله وهو سارق»[1].

إن الإنسان إذا مات وعليه دين قل أم كثر وليس في نيته أن يؤدى ما عليه يُؤخذ من حسناته فإذا لم يكن له حسنات يُطرح عليه من سيئات صاحب الدَّينِ، ومن كان كذلك فهو المفلس الذى أخبرنا عنه النبى ﷺ فى حديثه الشريف: «أتعرفون من المفلس؟ قالوا: المفلس من لا درهم ولا دينار معه. قال: ليس ذلك، ولكن المفلس من يأتى بصلاة وصيام وزكاة، ولكنه يأتى وقد شتم هذا، وسَبَّ هذا، وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا حسناته، فإذا فنيت حسناته طرح عليه من سيئات الآخرين»[2].

وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أُمتِى أنه يأتى يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتى

---

(١) الحديث رواه الطبرانى. وعند السيوطى والمناوى والهيثمى.. نص الحديث كالآتى: عن صهيب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «أيما رجل أصدق امرأة صداقًا والله عز وجل يعلم منه أنه لا يريد أداءه إليها، فغرَّهَا باللّه، واستحل فرجها بالباطل لقى اللّه يوم يلقاه وهو زان. وأيما رجل أدان من رجل دينًا بالباطل، لقى الله يوم يلقاه وهو سارق». قال السيوطى: رواه الإمام أحمد، وأبو نعيم فى الحلية، وسكت عنه [جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٣ ص ٤٣٠، ٤٣١ ـ ط الأزهر].

(٢) صحيح مسلم جـ ٨ ص ١٨، ورواه الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة.

وقد شتم هذا، وقَذَفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فَيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ فى النار».

إن كثرة الدَّيْن تجلب الفقر، وتنزع البركة، وتنذر بالخراب والخسران، لهذا يجدر بالعاقل أن يبتعد عن الدَّيْن، ولا يلجأ إليه إلاّ عند الضرورة القصوى، والحاجة المُلِحَّة، وإذا أخذ أى قرض فعليه أن يعقد النية أنه سيبادر بالدفع، ويعزم عزمًا أكيدًا، حتى إذا لم يتمكن من السداد، فالله يسدد عنه، ويُرضى صاحب الدين، فقد روى أحمد عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «يدعو اللّه بصاحب الدَّيْن يوم القيامة حتى يُوقَف بين يديه، فيقول: يا بن آدم، فيمَ أَخَذْتَ هذا الدَّيْنَ؟ وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب، إنك تعلم أنى أخذته فلم آكل، ولم أشرب، ولم ألبس، ولم أضيع، ولكن أتى على يدى، إمّا حرق، وإمّا سرق... فيقول الله : صدق عبدى، أنا أحق مَنْ قَضَى عنك. فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه، فترجح حسناته على سيئاته، فيدخل الجنة بفضل رحمته»[1].

لقد أمر الإسلام بسداد الدين من تَركَة المَدين إذا توفى، قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[2].

(١) جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٨ ص ٨٩ ـ ط الأزهر.

(٢) سورة النساء ـ من الآية ١٢.

فمن توفى ولم يترك ميراثًا فعلى الدولة أن تتكفل بالدّين وتكون مُلْزَمَةً بأدائه، يقول الرسول ﷺ : «أنا أوْلَى بكل مسلم ومسلمة، فمن ترك مالاً فلورثته، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا (أى أولادًا) فليأتنى»[1].

اقرءوا إن شئتم قول الله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

كما أن مصارف الزكاة، (أى الذين يستحقون الأَخْذ من الزكاة)، الغارمين. إن أول شيء يُحاسَب عليه الإنسان يوم القيامة ماله، من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟! لهذا يجدر بالإنسان أن يتوخى الدقة تمامًا، وأن يكون صاحب ضمير يقظ فى الأخذ والعطاء، وليعلم أن لله مَلكًا على بيت المقدس ينادى كل ليلة: «من أكل حرامًا لم يُقبل منه صرف ولا عدل»، والصرف هو النافلة، والعدل هو الفرض. إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[4]

---

(1) نص الحديث: قال النبى ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المومنين فترك دَيْنًا فعلىَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته». جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٢ ص ١٨٥ ـ ط الأزهر. . (حديث متفق عليه)

(2) سورة الأحزاب ـ من الآية ٦

(3) سورة المؤمنون ـ من الآية ٥١.

(4) سورة البقرة ـ من الآية ١٧٢.

ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يقول: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، فَأنَّى يستجاب له؟ . .

كما جاء عن سيد البشر ﷺ. . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين ما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء قائلاً: «يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّىَ بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك»(١).

لِـمَ وضع الإسلام هذا؟:

يحرص الإسلام أن يكون المال الذى تحت يدك طاهرًا نقيًا ليكون مباركَ النفع، وقد وصل إلى يديك بالطرق المشروعة، عن طريق التجارة والكسب الحلال والعمل الشريف.

وهذا المال الذى يصل إلى يديك بتلك الطرق النظيفة يضمن لك الإسلام المحافظة عليه، ويحترم صاحبه، لأن ذلك أدعى إلى حفز الهمم للعمل واستغلال المواهب، ومضاعفة الإنتاج زيادة فى

(١) رواه مسلم فى صحيحه [انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٠ ـ ط المصرية].

الاستثمار، مِمَّا ينمى الثروة القومية، ويرفع مستوى الحياة المعيشية فى المجتمع ليكون نشيطًا مبتكرًا، سبَّاقًا فى ميدان التقدم والازدهار.

والإسلام يحافظ على الملكية الفردية، ويدفع كل غَبْن يقع على كاهلها ما دام الفرد يؤدى حق الله فيها، مع سلامة الطرق المؤدية للاستثمار، وفى هذا صلاح للفرد، وبالتالى صلاح المجتمع، لأن الفرد هو اللبنة الأولى فى كيان المجتمع، فإذا شعر أن تعبه وكده سيئول إليه وإلى ورثته فإن ذلك أكبر حافز للابتكار الفكرى فى استثمار الأموال. وبعض الناس يتساءل لِمَ وضع الإسلام هذه القيود والأغلال فى وجه بعض الأنشطة التى تحول بين تنمية الثروات وزيادتها عن طريق الغش والربا وما شاكل ذلك، وقد كان الأولى أن يفتح الباب على مصراعيه للحصول على الكسب بأى وسيلة؟..

ونبادر فنقول لهؤلاء: إن الإسلام حَرَّمَ تلك الأنشطة التى هى استغلال للضعفاء، بقصد الحفاظ على الروابط الاجتماعية بين الناس، لأن الإسلام دين اجتماعى، يوصى بالعمل للدين والدنيا، وإن الاهتمام فى ظله بأمور الدنيا لا تقل عن أهمية العمل لأمور الدين، فأوجه التحريم حماية للفقراء من تسلُّط الأغنياء عليهم عن طريق الاحتكار، أو الربا، أو السرقة، لأن نتيجة ذلك إخراج المال من أيدى الفقراء إلى أيدى الأغنياء فيزداد الفقير فقرًا، والغنى بطرًا، وتتولد طبقة ترتفع على أشلاء طبقة أخرى، مِمَّا يكون سببًا فى أن ينتشر الحقد والكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع ـ الغنى والفقير ـ

ويتربص كل فريق بالآخر، ومثل هذا المجتمع يكون مهدداً بالضياع من خريطة الوجود.

إن الإسلام يحارب السوق السوداء، ويعلن الحرب على الأشخاص الذين يعملون على رفع الأسعار، مما يجعل العديد من أفراد الشعب يئنُّون ويتوجعون، وتكون الحياة ثقيلة عليهم، ويتمنى الواحد منهم الخلاص من حياته. والمعلوم أن الإسلام هو دين الرحمة، دعا إليها، ونادى بتطبيقها، فالراحمون يرحمهم الله: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[1].

«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله»[2].

إن الإسلام عندما أعلن الحرب على السرقة والسلب والنهب واغتصاب أموال الناس وأكلها بالباطل، والرشوة، والخيانة، والاحتكار، والاتجار فى المحرمات، كل ذلك وغيره من الأبواب التى سدها الإسلام ـ أَكَّدَ احترام الملكية الفردية والمحافظة عليها، ومعاقبة كل من تحدثه نفسه بالاعتداء عليها.. ذلك لأن المال عصب الحياة، ومعين على حل مشاكلها، والمال الصالح فى يد الرجل الصالح من أعز نعم الله على الإنسان، لهذا أحاطه بسياج قوى، ووضعه فى مصاف البنين، وأمر صاحبه أن يحافظ عليه، ويدافع عنه، فإنه مَنْ

(١) جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٤ ص ٢٤٠ ـ ط الأزهر.
(٢) صحيح مسلم جـ ٨ ص ١١ ـ ط صبيح.

قُتلَ وهو يدافع عن ماله فهو شهيد، ففى الحديث: «مَنْ قُتِلَ دون مَاله فهو شهيد»[1].

لهذا يجدر بنا أن نعى كل هذه المقومات الأساسية، وأن نسلك السبل الصحيحة لكسب المال وإنفاقه ونحن نردد قول الحق: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[2].

إن الإسلام يحمى الملكية الفردية ويعمل على صيانتها، ووضع أسس الحفاظ عليها، وذلك بإخراج الزكاة ودفعها إلى مَنْ حددهم القرآن، لأن هذا أكبر صيانة للأموال، ونشر الأمن فى المجتمع، وإطعام الجائع سيكون سببًا فى عدم التعرض للغنى فى ماله، ومع هذا فإن الإسلام يعترف بالواقع، أى بالتفاوت بين الناس، فهذا دخله عالٍ، وهذا دخله منخفض، والكل راضٍ قانع مادام يعمل ويجتهد، يزرع أو يتاجر أو يعمل فى وظيفة - أيًا كانت - كلٌ له دخل على حسب قدراته وكفاءته. والمسلم عليه أن يكون راضى النفس ليستقيم ميزان الحياة فى نظره، وتحلو اللقمة الحلال فى فمه، والإسلام يقر هذا التفاوت فى رزق الناس، لكن الكل فى ميزان الحق والعدل سواء: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]..

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، والإمام أحمد، والترمذى، والنسائى، عن ابن عمرو [صحيح الإرواء ٧٠٨، إحكام الجنائز ص٤١].

(٢) سورة الطلاق - من الآية ١.

(٣) سورة الحجرات - من الآية ١٣.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

بمعنى أن الله منح هذا سعة فى الدخل وهذا قلة فيه، فالأول ليس لوجاهته أو لأنه محبوب من الله، والثانى مبغوض.. لا.. وإنما هذا امتحان، والله سبحانه هو الفاعل، ولا يُسْأَلُ عَمَّا يفعل، وتلك حكمة عالية.

فعلى الفرد أن يكون قانعًا راضيًا بعد أن يجتهد ويبذل كل طاقته فى سبيل الحصول على الرزق من أوجه الخير والطرق المشروعة، ثم يكلل هذا السعى بالرضا، واضعًا نُصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[3].

إن الإسلام يقر التفاوت ولا ينكره، ولكن الذي لا يرضى به ولا يقبله وينكره أن يحسب الغنى أنه لا ضير عليه فى أن يعيش عيشة البذخ والترف والإسراف فى حين أن بجواره فقيراً لا يجد ما يأكله،

---

(١) سورة الزخرف ـ من الآية ٣٢.
(٢) سورة النحل ـ الآية ٧١ .
(٣) سورة الأنعام ـ من الآية ١٦٥ .

وهو يعيش عيشة البؤس والفاقة، ويتضور جوعًا، فأوجب فى مال الغنى ما يسد به رمق الفقير.

ولذلك وردَ عن رسول الله ﷺ : «ما آمَنَ بى مَنْ بَاتَ شبعان وجاره إلى جواره جائع»[1].

ويقول أبو ذر الغفارى رضى الله عنه: «عَجِبْتُ لِمَنْ لا يجدُ القوت فى بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه»! ويقول ابن حزم: «فرض اللّه على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات، ولا فَيْء، فيلزم سائر المسلمين بهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يقيهم من المطر والشمس وعيون المارة، ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعامًا فيه فضل لمسلم، أو ذمىّ.. لأن فرضًا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإن كان كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير، وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قتل أى الجائع فعلى قاتله القود، أى الدية والقصاص، وإن قتل المانع، يعنى الغنى، فإلى لعنة اللّه، وهو طائفة باغية، قال الله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[2]..

(١) رواه البزار والطبرانى عن أنس، وهو حديث صحيح. وفى رواية: «... وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

(٢) سورة الحجرات ـ من الآية ٩.

ومانع الحق باغٍ على أخيه الذى له الحق، وبهذا قاتل أبو بكر مانعى الزكاة[1] ».

ومن المأثور أن حاتم بن النعمان دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز فوجده يبكى فسأله عن سبب بكائه فقال: «أبكى جاهداً محرومًا، وفقيراً جائعًا، ومريضًا ضالاً، وعاريًا مجهوداً، ومظلومًا مقهوراً، وغريبًا أسيراً، وشيخًا كثرت عياله وقَلَّ ماله، وأخاف أن يأتى أجلى قبل أن أُوفى ما علىَّ». هذا عمر بن عبد العزيز الذى بحثوا فى عهده عن مستحق للزكاة فلم يجدوا، وكان يأكل الملح والزيت وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، كان يبكى خوفًا من أن يكون فى دولته جائع أو عار، أو شيخ كبير له عيال، فأين نحن من هذا الخُلُق العظيم، والتربية الإسلامية التى سعدت الدنيا فى ظلها؟! هل يفكر الذين يستوردون الملابس الغالية وأدوات الزينة والمساحيق من باريس، وهل يفكر عشاق الليالى الحمراء والموائد الخضراء فى إخوانهم فى الإنسانية أين كانوا، وعلى أى بقعة من المعمورة يسكنون؟! ويمدون إليهم اليد الحانية التى بها عند الله يشكرون، وفى دنيا الناس يذكرون، والذكرى كما يقولون للإنسان عُمْر ثانٍ.

ولا نقول لهم تبرعوا بكل أموالكم وَقَتِّروا على أنفسكم.. لا، بل نقول لهم: أخرجوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، سخية بها أيديكم، لتكون لكم عند الله قُربَى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

(١) انتهى قول ابن حزم هنا.

عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾(1).

إن الإسلام دين يدعو إلى الاعتدال فى كل شىء، وبهذا الاعتدال يقيم التوازن فى نفس الفرد، ويمنحه السكينة، ويجنبه الإفراط والغلو، والحرص والطمع، والطغيان والشراهة، وإذا أُصيب الإنسان بالشَّرَه، فهو لا يكتفى بالقليل، ولا يشبع بالكثير، ولا يطفئ نار طمعه ما جمعه، فتمتد عينيه إلى ما عند غيره، وما فى يد زميله، فالحلال لا يشبعه، ويعبّ من الحرام، وفيه يصدق ما روى، أنه: «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لتمنى ثانيًا، ولو كان له واديان لتمنى أن يكون له ثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلاّ التراب»(2).

ومثل هذا يحيا فى قلق دائم، وخوف مستمر، وفزع واضطراب فكرى، واكتئاب نفسى.

وعلاج هذا ما قاله الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(3).

---

(1) سورة المزمل ـ من الآية ٢٠.

(2) رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد والترمذى عن أنس، وعن ابن عباس، وابن ماجة عن أبى هريرة.

(3) سورة طه ـ الآيتان ١٣١، ١٣٢.

وظيفة الإيمان:

إن وظيفة الإيمان أن يوجه النفوس إلى شيئين:

١ـ إلى اللّه سبحانه وابتغاء ما عنده، والالتزام بمنهجه، والوقوف عند حده، لأن: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[١].

٢ـ إلى القيم الأخلاقية والمثل العالية، والتقرب من الناس بالعطف عليهم ومد يد العون إلى من يحتاج إلى عونه عملاً بقول الحق: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٢].

والإنسان فى سعيه هذا ينشد الغنَى الحقيقى، غنى النفس، الذى ينبع من داخلها، وبهذا جاء الحديث: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، إنما الغِنَى غِنَى النفس»[٣].

وقول الشاعر:

وذو القناعة راضٍ من معيشته
وصاحبُ الحِرْصِ إنْ أثرى فغضبانُ

ومن دعاء النبى ﷺ : «اللهم إنِّى أعوذ بك من عِلْمٍ لا ينفع،

---

(١) سورة النحل ـ من الآية ٩٦.

(٢) سورة المائدة ـ من الآية ٢.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه، فى كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس ٨/ ١١٨ ـ ورواه مسلم فى صحيحه، فى كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العَرَض (رقم ١٠٥١) ـ ورواه البيهقى والترمذى، وابن ماجة فى كتاب الزهد، باب القناعة (رقم ٤١٣٧ أ هـ ص).

ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»[1]. إن المسلمين اليوم فى حاجة إلى أن يتسلحوا بالاعتماد على الله، ثم عليهم أن يبذلوا الخير والمال والمساهمة فى المشروعات الاجتماعية والعمرانية، وأعمال البر، لتكون حياتهم سعيدة هنيئة.

والإنسان يعتقد أن الله هو الرزاق الوهاب المنعم، فهو الذى يُرْجَى خيره، وما على الإنسان إلاّ أن يجدَّ ويعمل، ويحترف وهو واثق بالله الذى لا يخيب من اعتمد عليه، وفى هذا المقام يعجبنى قول الشاعر:

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فما تدرى لمن تجمع
وإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص ... غنى كل من يقنع

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2].

ومن طريف ما يُحكى عن الطمع ما رُوى: «أن سيدنا عيسى عليه السلام خرج سائحا وأخذ معه رغيفًا، فتبعه يهودى ومعه رغيفان، فقال له سيدنا عيسى: تشاركنى فى طعامى؟ قال: نعم. ثم

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الحجر ـ الآيات ١٩ : ٢١.

لمّا رأى معه رغيفًا واحدًا ندم، ولما أراد الأكل جاء برغيف واحد، فقال له سيدنا عيسى، ما فعلت بالآخر؟ قال: ما كان معى إلاّ رغيف واحد، فأكلا ثم سارا، فوجد عيسى رجلاً أعمى، فدعا له، فرد الله عليه بصره، فقال عيسى: يا يهودى، بحق الذى أراك الأعمى بصيرًا، ما فعلت برغيفك؟ فقال: ما كان معى إلاّ واحدًا، ثم مَرَّ بكسيح مُقْعَد، فدعا له، فإذا هو صحيح، فقال: بحق الذى أراك المُقْعَد صحيحًا، أين الرغيف؟ فقال: ما كان معى إلاّ رغيف واحد، ثم وجدا نهرًا، فأخذ بيد اليهودى ومَرَّ به على الماء، فقال: بحق الذى أمشاك على الماء، أين الرغيف؟ فقال: ما كان معى إلاّ واحد. ثم دخل قرية فاستراح سيدنا عيسى، فسرق اليهودى عصاه، وقال لنفسه: الآن أنا أُحْيى الموتَى، ثم نادى: الطبيب.. الطبيب.. فأدخلوه على الملك وهو مريض، فضربه بالعصا فمات!! فضربه ثانيًا وقال: قُمْ. فلم يقم! فأخذوا اليهودى وصلبوه، فبلغ سيدنا عيسى خبره فأدركه، فقال: أنا أُحْيى لكم صاحبكم، واتركوا لى صاحبى. فدعا للملك بالحياة، فأحياه اللّه، فقال لليهودى: بحق من أحيا الملك، من أخذ الرغيف؟ فقال: واللّه ما كان معى إلاّ واحد. فجلسا على الأرض وكَوَمَا ثلاثة أكوام من التراب. ثم طلب عيسى من ربه أن تكون ذهبًا، فصارت ذهبًا، فقال: يا يهودى، بحق مَنْ أراك هذه المعجزة أين الرغيف؟ فقال: واللّه ما كان معى إلاّ واحد، فقال عيسى: أحد هذه الأكوام لى، والثانى لك، والثالث لمن أكل الرغيف! فقال: أنا الذى أخذت الرغيف! فقال عيسى: كلها لك، وتركه وانصرف.

وجلس اليهودى بجوار الذهب، فمر به رجلان من قُطَّاع الطريق، فاتفقا على أن يأخذ كل واحد منهما كومًا. وبعد لحظة أحسوا بالجوع، فقال اليهودى: أنا أحضر لكما الطعام. ثم ذهب، وفى الطريق حدثته نفسه بأن يضع لهما السم فى الطعام، واتفقا هما على قتله بعد عودته ليفوزا بالذهب، ولماّ عاد قاما إليه وقتلاه، ثم جلسا يأكلان الطعام، فماتا وتركا أكوام الذهب، فمر بهم سيدنا عيسى ومعه صحابته، فقال مشيراً إلى الذهب: هذه هى الدنيا فاحذروها».

وقديمًا قال الشاعر:

هى الدنيا تقول بملْءِ فيها
حذارِ حذارِ من بَطْشِى وفتكى
فلا يغرركمو منى ابتسام
فَقَوْلِى مُضْحِكٌ والفعلُ مبكى

وقيل:

يا طالب الدنيا الدنية إنها
شَرَكُ الردَى ومرارة الأقدار
دارٌ إذا ما أَضْحكَتُ فى يومها
أبكتْ غدًا، تَبًّا لها من دار!

إن الإسلام يدعو الناس أن يعيشوا حياتهم ورءوسهم مرفوعة، وهاماتهم عالية، ويدهم بالخير ممدودة، وأن يعملوا فى سبيل الخير،

ويسعوا فى الأرض ابتغاءَ فضل الله، ويذكروا الله كثيراً متمثلين قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

* * *

(١) سورة الجمعة ـ الآية ١٠

(٢) سورة المنافقون ـ من الآية ٨.

الفصل الخامس

التكافل الاجتماعى

المجتمع الفاضل هو الذى يشع فى أرجائه روح الأُخُوة والمحبة والتعاون، وهذه كلها تندرج تحت القول المعروف (التكافل الاجتماعى)، وهو أن يحس كل واحد فى المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، وإذا قصر فى أداء الواجبات الموكولة إليه فربما أدى ذلك إلى انهيار المجتمع عليه وعلى غيره.

لهذا كان على كل شخص قادر أو ذى سلطان أو منصب أو جاه فى المجتمع أن يمد يده بالخير لكل محتاج إليه، وأن تكون كل القوى الإنسانية فى المجتمع متلاقية فى المحافظة على المصلحة العامة ودفع الضرر ليكون البناء سليمًا، وفى هذا جاء قول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى تَوَادِّهِم وتراحُمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تَداعَى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

(١) رواه الإمام أحمد، ومسلم عن النعمان بن بشير (مختصر مسلم ١٧٧٤، والروض ٨٩٠)، وهو حديث صحيح.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1].

ولعل أبلغ ما ورد عن نبى الإنسانية من جوامع الكلم ما يرشدنا إلى التكافل الاجتماعى والتضامن فى سبيل الصالح العام، وأن كل شخص عليه أن يكون إيجابيًا فى حياته يسهم برأيه، ويصدع بقوله، ويجهر بالكلمة إذا كان فيها الصالح العام، يرشدنا إلى ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكن أحدكم إمَّعَة يقول: أنا مع الناس، إن أحْسَنَ الناسُ أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم إنْ أحسنَ الناسُ أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تحسنوا».

إن العمل البناء والإيجابية المترابطة مع الجميع، توجد الخير للمجتمع كله، والعمل السيئ والانعزالية والسلبية يعود بشرِّه وخطره كذلك على المجتمع، وصدق الله العظيم إذ يقول: «﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[2].

هذا.. مع أن الشخص السلبى الانعزالى الجبان يعود شَرُّه على نفسه قبل أن يقع على المجتمع: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[3].

إن الخير الذى عاش فيه مجتمعنا هو نتيجة للقلوب الطيبة،

(١) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى عن أبى موسى (مختصر مسلم ١٧٧٣).

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٢٥.

(٣) سورة فاطر ـ من الآية ٤٣.

والأيدى الطاهرة، والنفوس المحسنة التى وقفت الأطيان والعمارات فى سبيل الخدمات الاجتماعية التى ما كانت تخطر على بال، ولك أن تتأمل هذه الملاجئ التى أنشئت للأيتام، والمدارس التى أُعدت لتربية النشء، والمساجد التى شُيدت ليؤمّها أصحاب العقيدة، ويزداد عجبك عندما تعلم أن بعض الأوقاف الخيرية كانت لشراء أوانٍ خزفية بدل الذى يكسر من الخدم الضعفاء، وبعضها لتقديم ماء مثلج، أو مشروبات مرطبة لعابرى السبيل، وتوزيع الحلوى فى رمضان، وبعضها ليوزع على حُفَّاظ القرآن، ثم تلك التكايا (دور الضيافة) التى تستقبل الضيوف يأوون فيها، وتقدم لهم القرى من ألوان الطعام والشراب، وهكذا.. مما يشعرك بروعة التكافل الاجتماعى فى المجتمع المسلم، وأمام أعينهم قول النبى الكريم: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». وكذلك: «موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك وإشباع جوعه، وتنفيس كربته». وكذلك: «اصنع المعروف إلى مَنّ هو أهله، وإلى غير أهله، فإن أصبت أصبت أهله، فإن لم تصب أهله كنت أهله».

إن الدارس لنظام الوقف يرى طيبة القلب، وسخاء النفس، والطابع الإسلامى يسيطر على تلك النفوس التى قدمت الخير، وأظهرت للعالم نظمًا لم تتوصل إليها أكثر الدول حضارة فى مجتمعنا المعاصر، إن أرقى الدول لم تتوصل إلى مناهج يسعد الجميع فى ظلها، كما خطط الإسلام ورسم لأتباعه ما به يفخرون على العالم

كله شرقه وغربه. إن المسلمين تتبعوا مواضع الحاجات فوقفوا لها أوقافًا، حتى إنهم وقفوا أوقافًا وعينوها لعلاج الحيوانات المريضة، وأخرى لإطعام الكلاب الضالة، لأن الرحمة فى قلوبهم تشمل الإنسان والحيوان،» حسبما نبه الإسلام ودستوره (القرآن) وهدى الرسول الكريم.

ونستطيع أن نقول: إن الوقف هو الصدقة الجارية التى أشار إليها الرسول ﷺ فى قوله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقةٌ جارية، أو علمٌ يُنتفع به، أو ولدٌ صالح يدعو له»[1].

وجاء فى تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[2].

عن عبد الله بن مسعود: لَـمَّا نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله، إن الله عز وجل ليريد منا القرض؟! قال: نعم يا أبا الدحداحِ. قال أرِنى يَدَكَ يا رسولَ الله، فناوله يده.. قال: فإنى قد أقرضتُ ربِّى عز وجل حائِطى»[3].

قال ابن مسعود: «وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها»..

---

(١) رواه البخارى، وأبو داود، ومسلم عن أبى هريرة فى أحكام الجنائز.

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٤٥.

(٣) الحائط: البستان والحديقة.

قال فجاء أبو الدحداح فناداها: «يا أم الدحداح». قالت: «لبيك». قال: «اخرجى فقد أقرضتُه ربى عز وجل».

وروى أبو هريرة فيما رواه عنه مسلم رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالى، مالى، وإنَّمَا له من ماله ثلاث: ما أَكَلَ فأَفْنَى، أو لبس فأبلَى، أو أعطى فأَقْنَى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس»[1].

إن الكرم وحُب البذل فى سبيل الله يرفع قَدْر الإنسان فى الدنيا ويُثاب عليه فى الآخرة، وثواب القرش كبير، والأجر عليه عظيم، فله بذلك، حسنات وحسنات، يقول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

ويقول عزَّ من قائل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

---

(١) رواه الإمام مسلم.

(٢) سورة البقرة ـ الآيتان: ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٤.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1].

إن آيات القرآن التى بَشَّرَت الـمُنفقين والمتصدقين، ورغَّبت فى البذل والعطاء، وبينت لنا مال المنفقين لوجه الله، والنعيم المقيم الذى سيصل إليه الباذل والمنفق، والخلود فى جنات بيّنها القرآن بأروع الصور الفنية، وأبلغ الأساليب الأدبية، التى يُحرك نعيمُها الأيدى الممسكَة، والنفوس الشحيحة، والبخل الذى يسيطر على النفوس، فتفيض بالعطاء عند سماعها للوصف الرائع. ولنا أن نقف أمام تلك الآيات الكريمات من كتاب الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ

---

(١) سورة الحديد ـ الآية ٧.

وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[1].

إن هذه الصورة الرائعة للنعيم الخالد والسعادة العظيمة لمن أطعمَ الطعام وألانَ الكلام، والتحم بإخوانه فى بر ومودّة، وعطف وتسامح، ولا يحقرن أحد ما يقدم، لأن القليل عند الله كثير، فقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ يقول: «من تَصَدَّقَ بعدل تمرة (أى بمثل تمرة) مِنْ كَسْبٍ طيب، ولا يقبل الله إلاّ الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يُربيهَا لصاحبها كما يربى أحدكم فُلّوه (وهو المهر أول ما يولد) حتى تكون مثل الجبل»[2].

وهذا دليل على حُسن قبول الله للصدقة التى يتبرع الإنسان بها، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وهى ظل الإنسان فى أرض المحشر يوم العرض الأكبر حينما تدنو الشمس من الرءوس، وتتنزل الملائكة صفًا صفًا، لا يتكلمون من هيبة الموقف وشدته، وجهنم ترمى بشَرَر كالقصر، كأنه جِمالة صُفر، ويفر الإنسان من هول هذا الموقف من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التى تؤويه. فى هذا الموقف الذى هو شديد الرهبة يكون صاحب الصدقة

(١) سورة الإنسان ـ الآيات ٨ : ٢٢.

(٢)رواه الشيخان، والإمام أحمد عن أبى هريرة [الإرواء ـ ٨٨٦].

فى أمن وأمان وظلٍّ ظليل، لأن من السبعة الذين يظلهم اللّه بظله يوم القيامة ـ رجلٌ تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. وفى الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى»[1].

وقد روى الطبرانى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف».

فتزود أخى المسلم من هذا الهدى الإلهى، والتوجيه المحمدى، وتعوَّد على السخاء.. كن سَخِيَّ النفس، سخىّ اليد ليزيد اللّه فى رزقك، وليبعد عنك المكاره، ويعينك على الطاعة له، ويهيئ لك طرق السداد والرشاد، ويدلك على سبل السعادة، ومصداق ذلك قول الله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ

(١) رواه الطبرانى، وابن منصور فى سننه عن عبد اللّه بن جعفر العسكرى فى مدّ السرائر عن أبى سعيد، وهو حديث صحيح.

وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[1].

إن التكافل الاجتماعى فى الإسلام لا يقف عند حدود الأمور المادية أو وسائل المعيشة فقط، وإنما التكافل يتعدى إلى البر بأنواعه، والمعرفة بأسبابها المختلفة، والمعنى صيانة الحق، ورعاية الفضيلة، وتوفير الطمأنينة، برعاية الإنسان من كل جوانبه.. يمده بالعلم، ويسهل له وسائل المعرفة.

إن التكافل الاجتماعى فى الإسلام، أصيل فى إنسانيته، عام فى فطرته، بار فى تطبيقه، عميق فى دوافعه، فطرى النزعة، يستمد مقوماته من الإيمان بالله والثقة فيه، إن غايته رضاء الله سبحانه، وأمام عينىّ قول الحق: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

فى جو التكافل الذي يسيطر على المجتمع لا تجد فئة ظالمة وأخرى مظلومة، لا ترى فئة مُستغِلَّة وأخرى مُستَغَلَّة.. فى هذا الجو لا يمكن أن يقع التنابذ بين الناس، ومن خلاله لا يتمنى فريق زوال نعمة

(١) سورة الليل ـ الآيات ٥: ١٨.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

الفريق الآخر، بل إن أواصر الصداقة والمحبة والأخوة تسود دنيا الناس، وما أجمل تعبير القرآن حين يقول: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾[1].

وحين يقول: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾[2].

فالتعبير هو بأن الخير أو العمل الصالح يعود على الإنسان الذى فعله، وبه يشعر بالارتياح والاطمئنان، ومن خلال ذلك فهو مسئول عن راحة الجماعة وسعادتها، وهذه المسئولية تامة وكاملة، تمتد وتحيط بالإنسان فى ظاهره وباطنه، فى سره وعلنه، لأنها أمام الله أولاً الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

كما أنها مسئولية أمام القانون المنظم لحياة الناس وشئونهم، والذى يقوم على تنفيذه ممن وُكل إليهم أمر التنفيذ، كذلك البيئة التى يحيا فيها الإنسان وتقديرها للقيم الأخلاقية.

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٢.

(٢) سورة فصلت ـ من الآية ٤٦

(٣) سورة المجادلة ـ من الآية ٧ .

والقانون يستطيع الإنسان أن يتهرب منه بعد أن يرتكب الخطأ، وكذلك البيئة تختلف فيها القيم من مكان إلى مكان، لذلك أوجد لله فى الإنسان قوة ذاتية يشعر الإنسان معها بالقلق إن هَمَّ بمعصية أو ارتكب خطأ، وفى نفس الوقت يشعر بالرضا إن عمل عملاً طيبًا أو ساعد غيره، والقوة الذاتية التى قلت عنها، هى الضمير، وهو فى لإنسان قاضٍ نزيه، يحيا فى أعماقه، ويختلط بخلجاته وأحاسيسه، بهذا يكون الفرد مسئولاً مسئوليةً كاملةً أمام نفسه أولاً. والرسول ﷺ يقول مشعرًا الإنسان بمسئوليته: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن عيته»[1].

والحق سبحانه أشعرنا بهذا لتكون اليقظة دائمًا، ويكون العمل ثمر البناء ينبع من داخل النفس وأحاسيس الإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

إن الإنسان إذا تحايل على العباد وأفلت من القانون فإن أمامه لحظة سيقف فيها أمام الله وحيدًا فريدًا، لا مال فى يده، ولا عصبة تحميه، هذا الإله لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ هو فى كتاب مبين، لا يغادر صغيرة

(١) رواه الشيخان، والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذى عن ابن عمر [تخريج مشكلة الفقر ٩٣، وغاية المرام ٢٦٩].

(٢) سورة الزلزلة ـ الآيتان ٧، ٨.

ولا كبيرة إلاّ أحصاها: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[1].

وبدا لهم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبون، ومن خلال هذا ينمو التكافل فى نفس الفرد، وتظهر ثماره الطيبة فى واقع الحياة، أمنًا للجميع، وبراً بالأحياء، وعدلاً مع الصديق والعدو.

إن من أغرب ما رواه التاريخ ووعاه الزمن، تلك المظاهرة التى قام بها الفقراء فى عهد رسول الله ﷺ إذ ذهبوا وقالوا: «يا رسول الله ذهب أهل الدثور (أى الأغنياء) بالأجور، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم». قال النبى الحبيب: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به، إن بكل تسبيحة صَدَقَة، وبكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بمعروف ونهىٌ عن المنكر صدقة»[2].

إن الفقراء لم يجتمعوا للاحتجاج على قسوة الأغنياء وظلمهم، لأن ذلك لم يحدث، وإنما احتشدوا ليعربوا عن آلامهم فى أنهم لم يكونوا كالأغنياء فى ميادين الخير، وقد ظنوا أن الوسيلة لذلك هى

(١) سورة المؤمنون ـ الآيات ١٠١ : ١٠٣.

(٢) رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أبى ذر، وهو حديث صحيح [مختصر مسلم ـ ٥٤٥].

المال، وهم لا يملكون ما ينفقون، ولكن الرسول ﷺ وجههم ليكونوا إيجابيين فى دنياهم، عاملين لا عاطلين. وسبيل الخير ليست وقفًا على المال، وإنما الخير له سُبُلٌ كثيرة، فالذى يقوم بالإصلاح الاجتماعى عن طريق الموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإماطة الأذى عن طريق الناس، وإعانة من يحتاج إلى العون، وفى الإصلاح بين المتخاصمين، والتقريب بين المتباعدين، وكف اللسان عن الثرثرة، وحفظه عن الغيبة والنميمة، وذكر الله وتمجيده.. كل ذلك صدقة وتكافل فى سبيل الخير. وإذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن، والمسلم وهو يسمع من فم نبيه الطاهر هذا التوجيه يبادر إلى عمل الخير، حتى ولو يُعَلِّمَ الناس، يمحو أميتهم، ويقوى ضعيفهم، وكذلك لو أركب إنسانًا معه فى سيارته وعاونه فى قضاء مهمته، فإنه يشكر على ذلك ويثاب، ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان عنده فضل ظهر فَلْيَعُدْ به على من لا ظَهْرَ له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له...». قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: «فَذَكَرَ رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذَكَرَ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل»[1].

إن أزمة المساكن التى نشعر بها، والمواصلات التى نتألم منها،

(١) رواه مسلم، والإمام أحمد، وأبو داود عن أبى سعيد [مختصر مسلم ـ ١٠٦٦].

وطوابير الجمعيات والتهافت على الأشياء التى تختفى بسرعة من الأسواق كل ذلك سببه فقر الأخلاق وأزمة الضمير، فالمساكن كثيرة ولكن البعض يفضل أن يؤجرها مفروشة بثمن السنة فى شهرين أو أقل، ثم يغلقها طول العام وقد أغلق ضميره، فلا إحساس بمن هو فى حاجة إليها، وكذلك المواد التموينية، البعض يدخرها فى الثلاجات وفى البيوت وغيرها، وذوو النفوس المريضة يعطونهم ما يطلبون، فى حين أن الذين لا يجدون شيئًا منها يتضورون ويقفون فى الطوابير لا حول لهم، وربما عادوا إلى بيوتهم من غير أن يحصلوا على الضرورى منها. . إن ذلك ليس بسبب قلة المعروض، ولكن الجشع الذى سيطر على نفوس البعض جعلهم يتصرفون دون إحساس بالمسئولية الملقاة على عاتقهم، والتى تفرض عليهم عدالة التوزيع.

كذلك سائق السيارة (التاكسى) الذى يمر من بين الذين يتزاحمون عليه وهو يهرب ليجلس على (مقهى)، ثم يفرض رأيه على خط معين وطريق محدد لا يتخطاه، وأصحاب الحاجات وكبار السن أمام عينيه وهو لا يرق، لأن القلب قاس، والنفس مظلمة. إن كل ذلك نتج عن قلة الإيمان وضعف وازع الضمير، وعدم الإحساس بالمسئولية، ولهذا سرعان ما تُتَبَادَل الشتائم، وتسمع الألفاظ النابية، ثم التمنى لسائق التاكسى بالشر والوقوع فى المصائب، ولا يغيب عن بالنا أن الحياة بهذا الأسلوب تكون جحيمًا لا يُطاق.

وفى هذا يقول الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمانَ ولا دنيا لمن لم يُحْى دينًا
ومَنْ رَضِىَ الحياةَ بغير دينٍ فقد جعل الفناءَ لها قرينًا

إن الإيمان إذا ارتفع من قلوب الناس انقلبت حياتهم نارًا حامية، لهذا يقول النبى الكريم: «أى رجل مات ضياعًا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله»[١].

ولهذا لا نعجب إذا رأينا أثر الدين يتعمق فى نفوس من اعتنقوه بصدق وإخلاص، وكان من آثار ذلك أن أبا بكر وعمر يتسابقان على دار امرأة عجوز ليس لها من يعولها أو يقضى حوائجها، فإذا بهما يتسابقان فى تقديم الطعام والشراب وكنس الدار لها. . ويزداد عجبك عندما تعلم أن عمر كان يذهب فى ظلام الليل ليقوم بالعمل دون أن يراه أحد، فيرى أن أبا بكر قد سبقه. . يا سبحان الله! الخليفة لا يغفل عن امرأة كفيفة البصر ليس لها من يعولها، فيقوم رئيس الدولة بكنس الدار، وإحضار الماء، ثم يوقد المصباح، ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «ما سابقتُ أبا بكر إلى الخير إلاّ سبقنى». . . حدثنا هارون بن عبد الله البغدادى، أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «أَمَرَنَا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالاً فقلت اليوم أسبق أبا بكر فأكون قد سبقته يومًا.

---

(١) صحيح مسلم [ط حجازى ـ جـ ٥].

قال: فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك؟ قلت: بمثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبكر، ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله»[1].

وأبو بكر هو الذى يتبرع بماله كله لينفق فى سبيل الله، ولمّا سئل: وما تركت لأهلك وأولادك؟ فيقول فى ثقة المؤمن المطمئن لعطائه: أبقيت لهم الله ورسوله!

إن هذا الأسلوب فى العمل هو الذى جعل الحياة جنة يهنأ الجميع فى رحابها، مجتمع كان فيه الفقر والغنى، ولكنه لم تكن فيه المهانة والاستغلال، ولهذا يقول أحد عمال الزكاة فى عصر عمر بن عبد العزيز: «كنا نطوف بالزكاة على الناس لعلنا نجد من يقبلها». ولك أن تضرب المثل بما فعله عثمان بن عفان وتأخذ منه العبرة لنفسك: قافلة تأتى فى عام المجاعة تبلغ ألف بعير، عليها كل ما يحتاجه الناس، ويحضر التجار ليشتروا من عثمان هذه القافلة، فيقول لهم: «بكم تشترون؟» فيقول التجار: «نعطيك ٧٪ ربحاً» فيقول: «وجدتُ من يعطينى أكثر». فقالوا: «نزيد لك فى الربح»، وأخذ يرد عليهم بأن هناك من يزيده، فقالوا: «سبحان الله؟ نحن تجار المدينة، لم يتخلف منا تاجر واحد، والقافلة وصلت الآن، فمن أعطاك؟» فيقول الرجل المؤمن فى ثقة الكريم ويقين الصادق: «إنى وجدتُ الله يعطينى على الواحد عشرة إلى سبعمائة، وقد تبرعت

(١) حديث حسن صحيح [سنن الترمذى جـ ٥ ص ٢٧٧ ـ ط دار الفكر].

بهذه القافلة لله، أوزعها على الفقراء، وأشهدكم على هذا». ثم تلا قول الله : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

لا تعجب من هذه النماذج الحية التى عاشت بجسدها على الأرض وروحها متصلة بالملأ الأعلى، طهراً ونقاءً، كان الواحد منهم فى هذا الموكب الطهور يستهويه صوت الحادى إلى جنة الله الواسعة، ويستحثه حنين التطلع إليها، لأنه يعتقد أن مقامه فى الدنيا يعقبه سفر، وبعده وقوف فى ساحة قضاء يجد فيها ما قدمت يداه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾(٢).

إن أصالة التكافل الاجتماعى فى الإسلام جعلته يتساوى فيه الجميع، الحاكم والمحكوم. حَدَّثَ الشَّعْبى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ضاعت منه درع، فوجدها عند نصرانى، فأقبل به الى القاضى (شُرَيْح) يخاصمه، قال على: «هذه درعى ولم أبِعْ ولم أهَبْ». قال (شريح) للنصرانى: «ما تقول فيما قال أمير المؤمنين؟» قال النصرانى: «الدرع درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب».

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٦١.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٣٠.

فالتفت (شريح) إلى على، وقال: «يا أمير المؤمنين ألكَ بينة؟»، فابتسم علىٌّ، وقال: «أصاب (شريح) مالى بينة»، فقضى بالدرع للنصرانى، فأخذها ومشى خطوات ثم رجع، وقال: «أمّا أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يقاضينى أمام قاضيه فيقضى لى، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك وأنا أخذتها»، فيقول على: «أمَا إذْ أسلمتَ فهى لك».

إن الخليفة لم يحاول أن يتخذ القوة سبيلاً لأخذ درعه، والقاضى لم يطوع النصوص لإرضاء أمير المؤمنين، لأن سلطان الضمير أقوى من أى قوة على ظهر الأرض.

فليت شعرى فى أى مدرسة تخرج هؤلاء؟ إن المدرسة الفريدة التى تخرج فيها هؤلاء هى مدرسة الإيمان الذى يُعْلى صوتَ الحق والضمير، وينادى بتطبيق العدل، ويهون على الإنسان شهواته ومطالب حياته، فلا تعجب أن ترى تلك النماذج الطيبة الرائعة تمشى بين الناس وتحيا فى دنياهم ليكونوا مشاعل ضوء على درب الحياة، لقد وصف الله مجتمعهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

إن أم المؤمنين زينب بنت جحش التى كانوا يلقبونها «بأم المساكين» حَدَّثَتْ بَرْزَةُ بنت باتع: أنه لمَاّ خرج العطاء أرسل إليها عمر نصيبها،

(١) سورة الفتح ـ من الآية ٢٩.

فلمّا دخل عليها حامل المال قالت: «غفر اللّه لعمر، لقد كان غيري من أخواتى أحق بهذا». فقالوا لها: «هذا كله لك». قالت: «سبحان الله!» واستترت منه بثوب ثم قالت: «صبُّوه واطرحوا عليه ثوبًا». قالت راوية القصة: ثم قالت لى: «أَدْخِلى يَدَكِ فاقبضى منه قبضةً فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان» ـ من أهلَ رحمها وأيتامها ـ فقسمته، حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت برزة: «غفر الله لَكِ يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا حق»، فقالت: «فلكم ما تحت الثوب»، قالت: «فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا».

وإذا كانت تلك الفاضلة آثرت الأيتام بهذا العطاء، فإن العجب يزداد عندما تعلم أن السيدة الطاهرة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما، سألها مسكين فى يوم وهى صائمة ولم يكن عندها إلاّ رغيف، فقالت لجاريتها: «أَعْطِه الرغيف»، فقالت الجارية: «ليس لَكِ ما تفطرين عليه إلاّ هذا الرغيف»، فقالت: «أعْطِه إياه»، ففعلَت. ولماّ فعلت هذا بالرغيف فإن معاوية بن أبى سفيان بعَث إليها بثمانين ألف درهم، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين ولم تُبقِ لنفسها شيئًا، فتقول خادمتها: «يا أم المؤمنين، ما استطعت أن تشترى لحمًا بدرهمين تفطرين عليه؟»، فقالت: «يا بنية لو ذَكَّرتنى لفعلت».. يا سبحان الله!.

إن الصائمة التى تبرعت بالرغيف وليس فى بيتها ما تفطر عليه نسيت نفسها وهى توزع الآلاف، فلم تذكر جوعها واحتملته عن طيب

خاطر.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(1).

إن تعاليم الإسلام وقد تشربتها تلك النفوس فأقامت بها المجتمع المثالى الذى استظل بقانون الحق، مؤتلفًا بالعدل، زاخرًا بعمل الخير، لقد أتم بناء النفوس وإعدادها حتى صار الواحد يأتلف مع أخيه فى بوتقة النقاء والطهر والعفاف، جاء رسول الله ﷺ إلى زوجته عائشة رضى الله عنها يسألها طعامًا، فذكرت له ما تبقَّى من شاة ذبحوها ووزَّعُوها على الفقراء ولم يبق إلاّ شيئًا قليلا، فقالت: «وزّعناها كلها إلاّ هذه!»، فقال ﷺ: «كلها بقيت إلاّ هذه».. ونص الحديث هو: عن عائشة رضى الله عنها، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبى ﷺ : «ما بقى منها؟» قالت: «ما بقى منها إلاّ كتفها». قال: «بقى كلها غير كتفها»(2).

وهذا النبى العظيم الذى يعلم الإنسانية هذا الدرس القيم فى التكافل نراه يثنى على الأشعريين فيقول: «إن الأشعريين إذا أُرْمِلُوا فى الغزو أو فَنِىَ زادُهم، أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم مِنِّى وأنا منهم»(3). وهذه صورة رائعة على الناس أن يتعلموا منها.

---

(1) سورة آل عمران - من الآية ٩٢.

(2) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح [الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٦ - تحقيق الدكتور عمارة].

(3) رواه مسلم [صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٧١ - ط صحيح]، وهو حديث صحيح.

إن الجشع والأنانية قد اختفيا من هذا المجتمع، فليسمع بهذا أولئك الذين يتهافتون على المادة فى المجتمعات الأخرى، وكذلك الذين يدخرون أقوات شهر قادم لم يهل هلاله، ويحتكرون الأشياء ثم يطرحونها عند الغلاء للبيع بأغلى الأثمان.

ليتعلم هؤلاء جميعًا من دروس مدرسة الإيمان التى صنعت هذه النفوس ورقّقت عواطفهم، فاختفى من بينهم الشح، والبخل، والجشع. ولنتأمل فى هذا الموقف الذى خطب فيه رسول الله ﷺ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرًا، ثم قال: «ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون، ولا يتعظون؟ والله لَيُعَلِّمُنَّ قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم أو لأعاجلنَّهُمْ بالعقوبة»، وبلغ الأشعريين ما قاله رسول الله ﷺ وعلموا أنهم المعنيون بقوله، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: «يا رسول الله، ذَكَرْتَ أقوامًا بخير وذكرتنا بِشَرٍّ، فمالنا؟». فقالوا: «يا رسول الله: أَنُفطِّنُ غَيْرَنَا؟»، فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: «أنفطن غيرنا»، فقال ذلك أيضًا، فقالوا: «أمهلنا سنة»، فأمهلهم سنة يفقهونهم ويعلمونهم ويعظونهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1].

(١) سورة المائدة ـ الآيتان ٧٨، ٧٩.

أرأيت هذا التوجيه النبوى والإرشاد المحمدى، كيف لم يعمد إلى توجيه الخطاب لأحد، وإنما عمم، ولكن الأشعريين سارعوا وبادروا بالعمل الإيجابى، وإذا كانت هذه قضية عامة والخطاب فيها للإنسانية كلها، فإن على كل ذى عقل أن يقف أمامها طويلاً ليأخذ منها العبرة والأسوة برسول الله وبأصحابه البررة الأخيار.

إن سبل الخير ليست وقفًا على المال، بل إن لها سُبلا كثيرة يجدها كل إنسان ولو غير غنى، فلا يحرم أحد من الثواب وكل شخص على قدر طاقته حتى فى ميدان العلم والمعرفة الصادقة، فإنه يفتح الباب ليسهم فيه أصحاب القدرات، كُلٌّ على قدر طاقته.

إننا فى زماننا هذا نسمع أنين الأصوات المختلفة من كابوس الدروس الخصوصية دون هوادة، علمًا بأن الذين يقومون بإعطاء الدروس يهملون فى العمل الأساسى واليوم الدراسى، وهذا يتنافى مع أبسط القواعد الخُلقية التى يحث الإسلام عليها، لأن: «مَنْ أخَذَ الأجرَ حاسبه الله على العمل»، والمدرس يأخذ الأجر من الدولة نظير بذل الجهد وإفراغ الطاقة فى العمل، وإعطاء الواجب للطلبة بكل عناية ودقة، لبناء جيل عالم متعلم يعطى كما أَخَذَ، ويبذل كما بُذِلَ له، وهذه هى المساهمة الإيجابية، لأن المدرس قدوة والطلبة يقلدونه، فكما يكون يكونون هم، لأنهم بمعلمهم يقتدون، هذا مع أن دين الإسلام هو دين الرحمة والعطاء والبذل، وشعاره: هو أن

يعلم المتعلم غيره، وغير المتعلم أن يبحث عن شخص يتعلم منه، ومن وصاياه: اطلُبِ العِلْمَ من المَهْدِ إلى اللحد.

إن سماحة الإسلام تدفع بالشخص المتعلم ليُعَلِّمَ غيره، ولغير المتعلم أن يبحث عن شخص يعلمه، لأن الإسلام دين العلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا﴾[2].

إن عناية الإسلام بالمجتمع نابعة من تقديره لكرامة الإنسان، لأنه هو الأساس فِى صُنع حضارة العالم، وفي ازدهار الحضارة والتقدم والرفاهية. لذلك حث الإسلام أتباعه أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتواصوا فيما بينهم بالصبر والحق، وأن يكونوا جميعًا كالجسد الواحد، مثلهم كمثل اليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وأن يقول كل إنسان: «لن أكون إلاّ إذا كان أخى، ولن يكون أخى، إلاّ إذا كنت». . ألا ما أجمل الإحساس! وما أجمل التعاون! فلنجعل المال فى أيدينا والحب فى قلوبنا، ونعمل على إسعاد أنفسنا بالمال لنشعر بالأمن والاستقرار، وبهذا يفرح المؤمنون، وتنتصر الفضائل الأخلاقية.

* * *

(١) سورة الزمر ـ من الآية ٩.

(٢) سورة فاطر ـ من الآية ٢٨.

الباب الثاني

الزكـــاة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن لا إله إلاّ الله، الخالق القادر، المهيمن على كل شىء، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، الهادى إلى طريق الحق، والداعى إلى الرشاد، الناصح الأمين، الصادق الوعد، نَصَحَ الأمة، وأخلص لها فى جهادٍ، فصلوات الله وتسليماته عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّــــا بعــــد:

فإن سعادة الإنسان وخلاصه فى الدنيا، ونجاته وفوزه يوم القيامة مرتبط بالإيمان بالله والعمل الصالح.. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1].

والإنسان فى حياته مأمور بالسعى والتحرك فى المجتمع، مدفوع إلى ذلك ومعه فضائله وأخلاقه، أملاً فى الحياة، وثقةً برب كريم لا يضيع أجر من أحسن عملا، فهو ممتد الأمل، دائم العمل، فلا الغنَى يُغير من صفاته، ولا الحرمان ينقص من أخلاقه. وإن الصلاة تتناول

(١) سورة طه - الآية ١١٢.

جانب النفس فى الشخص فتنمى فيه فضائله، وتهذب أخلاقه، وتصحح مساره، وتجعله ينأى ويبتعد عن الفحشاء والمنكر . . والزكاة كذلك، تطهر النفس من البخل والشح، وتجعل الفرد يحيا وهو مطمئن النفس، يشعر براحة الضمير.

إن المنهج الإلهى للشخص فى يومه «الصلاة»، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء حين يلتقى هذا بالمنهج المالى، فإن ذلك يبرهن على صدق معرفة الإنسان لنفسه وثقته بربه، وإيمانه بحق خالقه مع حقوق الآخرين، وصَدَقَ رسول الله ﷺ إذ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١].

إن الزكاة ـ وهى تصدر عن إيمان بالله واليوم الآخر ـ تحفظك : «ما نَقَصَ مالٌ من صَدَقَة». وتربط بينك وبين أخيك برباط الود والحب والطمأنينة، فـ «اللّه فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه».

إن الحقيقة التى يجب أن يعيها كل إنسان أن المال مال الله، والإنسان مُسْتَخْلَفٌ فيه . . فالله سبحانه وتعالى يعد الشخص على حسن قيامه على المال وتصرفه فيه طبقًا للمنهج الإلهى بالأجر الجزيل، والثواب العظيم فى الآخرة، أمّا فى الدنيا فالزيادة فى المال، والأمن فى النفس، والصحة فى البدن، والبركة فى العيال، والخير

(١) روى عن أنس، رواه الشيخان، والإمام أحمد، والترمذى، وابن ماجة، وهو حديث صحيح.

فى كل شىء: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

ولنعلم جميعًا أن ما نبذله مردود علينا، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾[2].

وفى الحديث القدسى: «يا عبدى، أَنفقْ أُنفقْ عليك».

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وقال عزَّ من قائل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[4].

إن الامتناع عن إخراج الزكاة مع القُدرة هو سبيل التهلكة: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف ـ من الآية ٩٦.
(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٢.
(٣) سورة الصف ـ الآيتان ١٠، ١١.
(٤) سورة الليل ـ من الآيات ٥: ٧.
(٥) سورة البقرة ـ من الآية ١٩٥.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1].

أمَّا الكنَّازون فحسبك أن تقرأ عنهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2].

إن زمام المال ليس بيديك، وإنما هو بيد الله ـ جَلَّ وعَلا ـ وهو سبحانه يقبض ويبسط، يعز من يشاء ويذل من يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

والإنسان مطالب بأن يسخر المال لصفاته، ولا يسخر صفاته أبدًا للمال، إن المال وسيلة، والغاية: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾[4].

فالمال وسيلة إلى مرضاة الله فى ظل أخوة وتعاون وتراحم قائم على العدل والحق، إن شرف الوسيلة من شرف الغاية، وأدب

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١٨٠ .

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٣٤، الآية ٣٥.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٢٦ .

(٤) سورة العلق ـ الآية ٨

السلوك من طهر الغرض.. وتوجيه المال إلى الطرق التى حددها الله سبحانه وتعالى اعترافًا من الشخص بأن المال مال الله والإنسان مُستخَلفٌ فيه، يتصرف فيه وفقًا لمنهج مالكه.

وصِدّقُ أنَّكَ مُسْتَخْلَفٌ ذلك أن تسأل نفسك: أأنت مقيم على المال أم تاركه وذاهب؟..

سَلِ الواقع ينبئك، بأنك وسوف ترحل يومًا مَّا، ويبقى المال من بعدك ينتقل إلى غيرك، «لأنه لو دام لغيرك ما وَصَلَ إليك».

إن الأرضَ التى تُقيم عليها ملْكٌ لله وليستْ لك، ولو كانت لَكَ لَـمَا بقيت بعدك: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

دقق النظر، وعِشْ فى تلك الحقائق بقلبك لتعرف حق من استخلفك وتأمَّلْ قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2].

إنه المالك الرحمٰن الرحيم، يقدم كل ذلك تذكيراً للإنسان ورحمة به، حتى لا يجهل الحق فيضل ويعمى عن الواقع فيذل ويقول يوم القيامة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١٨٠.

(٢) سورة الحديد ـ الآية ٧.

(٣) سورة طه ـ الآيتان ١٢٥، ١٢٦

إن الإسلام يقيم التوازن العادل بين الشخص ونفسه بحيث يجعله يعطي بنفسٍ راضية، وليس في عطائه منٌّ ولا رياء، لأن صوت الحق يهتف في أذنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

إن المال إذا بلغَ النِّصَابَ ومَضَى عليه حَوْل فعلى المسلم أن يُخرج زكاته وهو موقن بأن الرقيب عليه هو الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، قال تعالى فى سورة لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[2].

وكل مال عليه زكاة إذا بلغ النصاب حتى ولو كان يَدَّخِره الإنسان للزواج أو لشراء بيت أو سيارة ولو كان المال مستثمرا في شراء أرض للتجارة أو ذهب أو غير ذلك، فمادام المال عندك ولك فعليه زكاة، وإذا كان البعض يقول: أنا أُخرج من مالى بين الحين والحين صدقة أقدمها لمحتاج، أو أدفع بها للهوف، وهذا يغنى عن الزكاة لأنى

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٦٤.

(٢) سورة لقمان ـ الآية ١٦.

أعتقد أننى أدفع أكثر مما يجب علىَّ، نقول له: لابد أن تُحَدِّدَ مالك وتُجَنِّبَ الزكاة، ثم تنفقها فى مصارفها كما أمر الله.. و: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[2].

إنه بالثقة يتم البذل والتصدق، ويتحقق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3].

إن النفس التى أيقنت بالله وعرفت مصدر الخير تنفق ولا تخشى من ذى العرش إقلالا، وإذا وثقت فيه واطمأنت إليه أبصرت أمرها، فلم تر لنفسها فضلاً فيما أنفقت، لأن الفضل دائمًا من الله الغنى الحميد.

إن من امتنع عن إخراج الزكاة ومنع حق الله فى إخراج الزكاة وجب أن يُقَاتَلَ عليها، لأنه بذلك فتح بابًا واسعًا لقتل نفوس بريئة قد يكون منها طفلة بريئة وهو لا يدرى، وقد يكون هو منها من حيث لا

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٢٩.

(٢) سورة المؤمنون ـ الآيتان ٦٠، ٦١.

(٣) سورة الحشر ـ من الآية ٩.

يحتسب، إذ لا يعلم ما بيته له القدر، فكم من غَنِىٍّ بات وأصبح فقيراً: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[1].

لذلك نهض أبو بكر الصديق بإعلان الحرب على مانعى الزكاة وقال قولته الشهيرة: «والله لأقاتلن مَنْ فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة، والله لو منعونى عقال بعيرٍ كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

إن الزكاة لا تؤخذ عن غير مقدرة، ولا يُعطاها غير محتاج، فكما أن الزكاة فى المال فهى كذلك فى العلم، علِّمْ غيرَكَ ما عندك، وهى كذلك فى مساعدة المحتاج، من أعان مسلمًا أعانه الله، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه.

إن كل مساعدة من أى نوع تقدمه لغيرك ـ حتى للحيوان ـ لك بذلك أجرٌ وثوابٌ عظيمٌ من ربٍ كريم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2].

إن القرش فى ميدان هذه الفريضة إنسانى النزعة فى الكسب والعطاء، يمثل خُلُقَ صاحبه الذى يحمد الله ويرجو أن يتقبله منه، والإنسان وهو يدفع قدراً معلومًا حدده الشارع يعلن ولاءه لخالقه، واعترافه بفضله، وترابطه مع الجماعة التى يلتقى معها ويحيا فى

(١) سورة لقمان ـ من الآية ٣٤.
(٢) سورة الزلزلة ـ الآية ٧.

وسطها، ومع حماية الضمير اليقظ فى الشخص الذى يُخرج الزكاة توجد أمة الخير، ذات اللبنات القوية المستقيمة، ورسالتها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد فى سبيل الله، وتنشر قواعد الحق والخير، مع دفع عجلة الإنتاج بلا تضخيم ولا استعباد.. يستجير المظلوم فتجيره، ويحتمى بها الضعيف فتحفظه، ويطلبها المحروم فتعطيه، ويحتكم إليها العدو فتنصفه، فتصدر فى حكمها عن شرف الغاية فى ظل مراقبة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

ولذلك تجد العدو صديقًا إذا كان الحق معه، والصديق عدواً إذا خالف الحق وابتعد عنه.

* * *

(١) سورة الحج ـ الآية ٤١.

الفصل الأول

ماهية الزكاة وشروط وجوبها

إن الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام، وعبادة من عباداته، ودعامة من الدعائم الخمس التى قام عليها بناؤها، كما أنها تكليف اجتماعى، وحق معلوم للسائل والمحروم، شرعها الله تطهيراً للناس من أدناس الذنوب والبخل، فيها من الإحسان إلى المحتاجين والرفق بهم، وتَطْيِيب قلوبهم، واطمئنان الفقراء إلى حقهم فى أموال الأغنياء، فلا يطمعون فى الاستيلاء على أموالهم بوجه غير مشروع، لأنها ضريبة مالية أوجب الله تعالى أن تؤخذ من أغنياء الأمة لتُرَد على فقرائها قيامًا بحق الأخوة وحق المجتمع، وحق الله تعالى. ثم المال محبوب بالطبع، وشاق على النفس أن تخرج منه شيئًا، فإذا استغرق القلب فى حبه اشتغل به عن حُبِّ الله تعالى، وعن الطاعة المقربة إليه سبحانه، فاقتضت الحكمة إيجاب الزكاة فى المال امتحانًا لأصحابه، ليكون هناك تمييز بين المطيع - الذى يُخرج الزكاة طيبةً بها نفسه، ممدودة بها يده، فلا رياء ولا مَنّ - وبين العاصى المانع للزكاة، ليميز الخبيث من الطيب، وليكون الثواب على

قَدْرِ العمل، ولا ريب أن من أخرج زكاته فقد حفظ دينه، وأَرْضَى ربه، ونَمَّى ماله، وزكى نفسه، وتبرأ من دنس الشح والبخل.

والزكاة نظام إسلامى صرف لم يُسبق بنظام دينى ولا وضعى شبيه به.. إنه يُقَرِّب بين الطبقات، ويؤلف بين القلوب.

والزكاة فرض عين على كل من توفرت لديه الملكية والنصاب، ويشترط فى النصاب ما يلى:

١ـ أن يكون فاضلاً عن الحاجات الضرورية التى لا غنى للإنسان عنها، كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحرفة.

٢ـ أن يَحُولَ عليه الحَوْل الهجرى، وهو المعروف بالحَوْل القمرى (٣٥٤ يومًا بخلاف الحول الشمسى، وهو إمًّا ٣٦٥ يومًا أو ٣٦٦ يومًا).

وقد أجمع المسلمون على فرضية الزكاة، لقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]. ولقول الرسول ﷺ : «بُنِىَ الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا»[٢].

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٤٣.

(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة، ورواه الإمام أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى عن ابن عمر، وهو حديث صحيح.

وقوله ﷺ - فيما رواه الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما - لَـمّا بعَثَ مُعَاذَ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن، قال: «إنكَ تأتى قومًا أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأَعْلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صَدَقَة فى أموالهم تُؤْخَذُ من أغنيائهم وتُرَدُّ إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فَإِيَّاكَ وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وإذا كان هذا هو موقع الزكاة من شريعة الإسلام فقد قرر العلماء أن من أنكرها وجحد وجوبها فقد كفر، ومن هنا حارب أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة.

شروط وجوب الزكاة:

١ـ الإسلام: فلا يطالب بأدائها كافر.

٢ـ البلوغ: فلا تجب على الصبى الذى له مال.

٣ـ العقل: فلا تجب على المجنون، ويقول بعض العلماء بأن الزكاة تجب فى مال الصبى والمجنون[١]، ويخرجها ولي أمرهما نيابة عنهما.

---

(١) الحنفية قالوا: لا تجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون، ولا يطالب وليهما بإخراجها من مالهما، لأنها عبادة محضة، والصبى والمجنون لا يخاطبان بها.

٤ـ النصاب.

٥ـ حولان الحول.

٦ـ الحرية: فلا تجب على عبد مملوك.

٧ـ المِلْك التام الخالى من الدَّيْن.

هل تجب الزكاة فى صداق المرأة؟:

بعض الناس يؤخر صداق المرأة كله أو بعضه، وعلى هذا فهل تكون فيه زكاة؟ علمًا بأنه مؤخر لأحد الأجلين (الطلاق أو الموت)؟

من المعلوم أنه دَيْن فى ذمة الزوج لم تقبضه المرأة، ولهذا لا زكاة فيه حتى تقبضه فإن وكان نصابًا واستكمل شروط النصاب نخرج عنه الزكاة.

من مات وعليه زكاة:

من مات وعليه زكاة فإن على ورثته أن يُخرجوا الزكاة من ماله، لأنها حق الله عزَّ وَجَلَّ، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[1].

الزكاة دَيْن لله تعالى، ودَيْن الله أولى بالقَضاء.

النية عند أداء الزكاة:

الزكاة عبادة، ويشترط لصحة إخراجها النية، فالذى يخرج زكاة ماله عليه أن يقصد وجه الله تعالى عند أدائها، وأن يطلب بذلك ثوابه.

* * *

(١) سورة النساء ـ من الآية ١١.

الفصل الثانى

الأنواع التى تجب فيها الزكاة

أنواع الزكاة عديدة ، وهى:

١ـ الذهب والفضة.

٢ـ الزروع والثمار.

٣ـ عروض التجارة.

٤ـ الخارج من الأرض من معدن (الركاز) وغيره.

٥ـ النعم (الإبل والبقر والغنم).

تجب الزكاة فى الذهب والفضة إذا بلغا النصاب، لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

ولقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلاّ إذا كان

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٣٤.

يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار»[1].

وحكمة وجوب الزكاة فيهما: أن مهمة النقود أن تتحرك ويتم التداول بها فيستفيد من ورائها الذين يتداولونها، وأمّا حبسها فيؤدى إلى كساد الأعمال، وانتشار البطالة وركود الأسواق وانكماش الحركة الاقتصادية، والإسلام حريص على إيجاد حركة دائمة فى المجتمع الإسلامى بالعمل والجد والابتكار ليكون هناك ازدهار فى حياة المسلمين، ومن هنا كان إيجاب الزكاة كل حول فيما بلغ نصابًا من رأس المال النقدى وسيلة لتحريك المال حتى لا يظل محبوسًا فى الخزائن بعيدًا عن التداول، فيكون ذلك دافعًا لصاحب المال والاستثمار، حتى لا تأكله الزكاة، فيستفيد الغنى بالثمرة والفقير بالزكاة بعد العمل والتداول.

نصاب الذهب والفضة:

إذا بلغ ما يملكه المسلم خمس أوقيات من الفضة فإنه يجب عليه الزكاة فيها. . والأوقية = ٤٠ درهمًا - والدرهم = ٣,١٢ جرامًا بالوزن القديم، وبالوزن الحديث = ٢,٩٧٥ من الجرامات × ٢٠٠ = ٥٩٥ من الجرامات، ويكون نصاب الذهب كذلك هو =

(١) رواه مسلم [صحيح مسلم جـ٣ ص٧٠، ٧١].

٤,٢٥×٢٠=٨٥ جرامًا من الذهب، فمن ملك من الفضة الخالصة نقودًا أو سبائك ما يزن (٥٩٥ جرامًا)، وكذلك من ملك (٨٥ جرامًا) من الذهب فإنه يجب عليه الزكاة = ٢,٥٪ إذا تحققت الشروط الواجبة.

هل يزداد المقدار الذى يخرج عن الزكاة فى هذا العصر؟ :

الثابت من سُنة رسول الله ﷺ وسُنة الخلفاء الراشدين من بعده وإجماع الأمة الإسلامية أن القيمة المحددة ٢,٥٪ لها صفة الثبات والخلود، فلا تتغير، وإنما هى تسرى على جميع المسلمين فى أى مكان لأن ذلك من عوامل الوحدة بين المسلمين فى جميع الأقطار، ومن المعلوم أن ما يقبل الزيادة يقبل النقص، وما يقبل النقصان يقبل الإلغاء، لذلك ليس لأحد من البشر مهما كان أن يزيد أو ينقص فيما حددته الشريعة الإسلامية، وقد أمرنا ربنا أن نتمسك بهذه السنة وحذرنا من مخالفتها، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

زكاة النقود الورقية:

إن الذى حدده رسول الله ﷺ فى أحاديثه هو الذهب والفضة؛ لأنهما المعدنان النفيسان، ولذلك أقدمت أممٌ كثيرة منذ عصر بعيد على اتخاذهما نقودًا، وحين بُعث الرسول ﷺ كان العرب يتعاملون

(١) سورة النور ـ من الآية ٦٣.

بهما، فالذهب فى صورة دنانير، والفضة فى صورة دراهم، وأمّا فى عصرنا هذا فقد صار هذان النقدان من الأرصدة المحفوظة فى البنوك والتى يقام بها اقتصاد الدول، ويُستعاض عنها فى التداول بين الناس بالعملات الورقية، وهى قطع من ورق خاص تزين بنقوش خاصة وتحمل أعدادًا صحيحة يقابلها فى العادة رصيد معدنى يحدده القانون، وقد انتشر هذا النوع من النقود حتى عم استعماله جميع الدول الحديثة، والذى دعاها إلى ذلك اتساع نطاق المعاملات، وعدم كفاية النقود المعدنية وحدها لتلبية ما تتطلبه الحركة الاقتصادية، وفى هذه الحالة يكون للنقود الورقية قيمة النقود المعدنية فى أن كُلا منهما واسطة للتبادل.

ولما كانت هذه الأوراق بدلاً من النقدين المنصوص عليهما، والمودعين فى خزائن الدول، فهى كمال فى يد الإنسان باعتبار قيمتهما الوضعية، وبما أنها تؤدى وظائف النقود الشرعية، وتقوم مقام النقدين فى كل المعاملات المالية بين العالم كله، فوجب فيها الزكاة بقدر ما تساويه من نصاب الذهب، وهو ٨٥ جرامًا، مع مراعاة السعر عند إخراج الزكاة.

زكاة الحلى:

الحلى هو ما تتزين به المرأة من مصوغ الذهب والفضة، ولا زكاة في ذلك، ولكن (قال أبو حنيفة وابن حزم بوجوب الزكاة فى حلى المرأة

إذا بلغ نصابًا) استنادًا إلى قول الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1].

والأصل فى ذلك براءة الذمم من التكاليف ما لم يرد بها نص شرعى صحيح، ثم إن الزكاة تجب فى المال النامى، أو الـمُعَد للنماء أو الاستثمار، والحلى التى تتحلى بها المرأة لا ينمو ولم يُعَد للنماء، وإنما أُعِدَّ للزينة. ويشترط فى حلى المرأة ألاّ يكون زائدًا عن الحد المتعارف عليه بين مثيلاتها، وألاّ يتخذ للتجارة، وأمّا ما تتخذه المرأة من الماس والدر والياقوت واللؤلؤ والأحجار الكريمة فلا زكاة فيها إلاّ إذا اتخذت للتجارة.

والخلاصـــة:

أن المقدار الذى تجب فيه الزكاة:

١ـ من الذهب ٨٥ جرامًا.

٢ـ من الفضة ٥٩٥ جرامًا.

٣ـ من أوراق البنكنوت والنقد المتداول ما يساوى ٨٥ جرامًا من الذهب.

٤ـ حلى المرأة من الذهب والفضة لا زكاة فيه إلاّ إذا زاد عن الحد المتعارف عليه، أو كان للتجارة.

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية ١٨.

٥ـ حلى المرأة من الأحجار الكريمة والماس والدر والياقوت واللؤلؤ والزمرد لا زكاة فيه إلاّ إذا اتخذ للتجارة.

٦ـ إذا لبس الرجل خاتمًا أو سوارًا أو ساعةً من ذهب فيحرم ذلك عليه أولاً، وتجب عليه فيه زكاة إذا بلغ نصابًا.

٧ـ ما اتخذ من الأوانى من الذهب والفضة فإن ذلك يُعدّ ثروة معطلة، ومظهر من مظاهر الترف، والإسلام يحرّم هذا لما فيه من كسر قلوب الفقراء، كذلك ما اتخذ زينة وتحفة، كالتماثيل وما شاكلها، كل ذلك تجب فيه الزكاة إذا بلغ نصابًا بالوزن، أو بضم قيمتها إلى ما عنده من مال.

زكاة الدَّيْـــن:

والدين هو قدر من المال استقر فى ذمة إنسان لآخر بسبب قرض، أو كان ثمنًا لسلعة مباعة، أو كان صداقًا مؤجلا، وقد قسّمه الأحناف إلى: قوى، ومتوسط، وضعيف.

١ـ **الدَّيْن القوى:** وهو دَيْن القرض والتجارة إذا كان على المرء ومعترف به ولو كان مفلسًا، فإذا بلغ نصابًا بنفسه أو بما عند الدائن وحال عليه الحول، ولو قبل قبضه وجبت زكاة ما يقبض منه، فكلما قبض مبلغًا بلغ النصاب أخرج منه ما عليه من زكاة.

٢ـ **الدَّيْن المتوسط:** وهو ما كان بدل مال لو بقى فى يده لا تجب فيه

الزكاة، كثمن دار السكنى، وثيابه المحتاج إليها، ودوابه المعلوفة والعاملة ونحوها من كل ما لا تجب فيه الزكاة وليس للتجارة، ويقاس على ذلك: (السيارات فى عصرنا، وما شاكلها من وسائل المواصلات) وهذا لا زكاة فيه حتى يبلغ ما يقبضه من ذلك نصابًا ويحول عليه الحول.

٣ـ **الدَّيْن الضعيف**: وهو ما لم يكن بدل مال (كالمهر، والوصية، والخلع)، فلا تجب فيه الزكاة إلاّ إذا قبضه وكان نصابًا وحال عليه الحول.

ويقول المالكية: مَنْ مَلَكَ مالاً سواء كان من ميراث أو هبة أو صداق أو بدل خلع أو ثمن سلعة مشتراة، كأن باع عقارًا أو متاعًا ولم يتسلم ثمنه، بل بقى دينًا عند واضع اليد، فهذا الدين لا تجب فيه الزكاة إلاّ بعد قبضه ومُضىِّ حَوْل عليه، وبلوغه النصاب.. ولو ورث رجل مالاً، وعين القاضى له حارسًا عليه قبل قبضه، واستمر دينًا له عدة أعوام، فلا يطالب الوارث بزكاة هذا المال عن تلك الأعوام.

الحنابلة قالوا: تجب زكاة الدَّيْن إذا كان ثابتًا فى ذمة المدين ولو مفلسًا، إلاّ أنه لا يجب على الدائن إخراجها إلاّ

عند قبض الدين إذا بلغ نصابًا بنفسه، أو بضمه إلى ما عنده من مال.

الشافعية قالوا: تجب زكاة الدَّيْن إذا كان ثابتًا ذهبًا أو فضة أو (عملة ورقية) أو عروض تجارة، ولو مؤجلا، (كديون التجار عند عملائهم، سواء كان الدين نقدًا، أو سلعًا مقوَّمة بالمال قبل أخذها)، ولا يجب على الدائن إخراج الزكاة إلاّ إذا تمكن من أخذ دينه، ويخرجها عن الأعوام الماضية، وإذا تلف الدين قبل التمكن من أخذه سقطت زكاته، أمّا إذا كان الدَّيْن ماشية أو مطعومًا كالتمر والعنب فلا تجب فيه الزكاة.

هل تجب الزكاة فى دور السكنى والثياب وأثاث المنزل؟:

دور السكنى تنقسم إلى قسمين:

(أ) ما يبنيه الإنسان سكنًا لنفسه وأولاده، وهذا لا زكاة فيه بالإجماع، لأنه للاستعمال الشخصى.

(ب) ما يبنيه الإنسان للكراء (استئجار الأجير، أو أجره) «ليؤجره»، وكذلك السيارات والسفن والطائرات التى تؤجر لنقل الركاب والبضائع، هذه الأشياء لا زكاة فيها إلاّ إذا قبض المالك إيرادها وبقى عنده حتى حال عليه الحول وبلغ نصابًا، فعليه أن يخرج

الزكاة من هذا المال، أمَّا إذا كان إيراد العمارات والسيارات والطائرات والسفن والمصانع يبلغ النصاب بعد خصم أجور العاملين وأثمان قطع الغيار والصيانة وما شاكل ذلك شهريًا، فإن الزكاة تجب من صافى الأرباح، حكمها فى ذلك حكم الزروع والثمار، إذ لا فرق بين مالك تجىء إليه غلات أرضه المزروعة، ومالك آخر تجىء إليه غلات مصانعه وعماراته، سواء كان المالك فردًا أو جماعة، وبهذا قال الحنابلة والمالكية: ومقدار ما يخرجه المزكى ٢,٥٪ من صافى الربح، وأمّا ثياب البدن وأثاث المنزل وكتب العلم[١] وكل ما كان للاستعمال الشخصى فليس فيه زكاة.

زكاة أصحاب المهن الحرة:

الإسلام دين الله الخالد وشريعته ماضية إلى أن تقوم الساعة، وقد قال الله سبحانه فى قرآنه الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٣].

---

(١) الحنفية قالوا: إن كتب العلم إذا كان مالكها من أهل العلم فلا زكاة فيها، أمّا إذا لم يكن مالكها من أهل العلم، وبلغ ثمنها النصاب ففيها الزكاة.

(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٦٧.

(٣) سورة السجدة - من الآية ١٦

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾[1].

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدَقة، فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف فإن لم يفعل فيأمر بالخير فإن لم يفعل ينه عن الشر فإنه له صدقة»[2].

وروى البخارى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «على كل مسلم صدقة. قالوا: يا نبى الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يستطع؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة». ورُوِىَ عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كان يقوم باقتطاع الزكاة من العطاء، أى كان يقتطع الزكاة من الرواتب الكبيرة.

ورَوَى ابن أبى شيبة هبيرة قال: «كان ابن مسعود يزكى من أعطيتهم من كل ألف خمسة وعشرين»، وهذا يعنى الخصم من المنبع بلغة العصر.

من كل ما تقدم يتبين أن تزكية المال المستفاد عقب استفادته من الأمور التى يجب أن نلخصها فى مجتمعنا المعاصر، وهذا يتفق

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٤.

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم جـ١ ص ٢٤٠، ٢٤١ ـ طبعة مصر.

وهدى الإسلام فى غرس معانى البر والبذل والمواساة، والإسهام فى حل مشاكل المجتمع.

ومن المعلوم أنه توجد مجموعة من أصحاب المهن الحرة ذوى دخل كبير جداً، كالطبيب، والمحامى، والمهندس، وبعض الحرفيين والفنيين.

ولا يتصور أن يفرض الإسلام الزكاة على فلاح دخله يقدر بخمسين كيلة من القمح أو الأرز وهى لا تزيد فى قيمتها المالية عن ٢٠٠ جنيه، فتؤخذ منه الزكاة، ويُتْرَك الطبيب والمحامى وأصحاب المهن الحرة بلا زكاة، فى حين قد يصل دخل الواحد منهم أحيانًا فى اليوم الواحد إلى ٥٠٠ جنيه أو يزيد، فكان من العدل الذى هو سمة الإسلام أن نطالب هؤلاء بإخراج زكاتهم قياسًا على ما يؤخذ من الفلاح، ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

فقد قرن الله بين ما كسبه المسلم وبين ما أخرجه الله من الأرض فى سياق واحد، كلاهما من رزق الله وفضله، ولنعمل بما فعله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز حينما كانا يخصمان الزكاة من المنبع.. وعلى هذا نرى أن كل دخل كبير من أى مورد يزيد على مائتى جنيه بعد خصم تكاليف المعيشة وكل احتياجات المزكى، نقول له: طيب

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٦٧.

مكسبك وأخرج منه الزكاة فوراً ٢,٥٪ يبارك لك الله فى رزقك وينمى لك مالك، ويبعد عنك الضرر.

زكاة النَّعَـم:

تجب الزكاة فى النعم وهى: «الإبل، والبقر، والغنم» بشرط أن تكون سائمة ـ «المالكية لم يشترطوا هذا الشرط» ـ والسائمة هى التى ترعى فى أرض غير مملوكة لأحد، كالتى ترعى فى الجبال أو الصحارى.

زكاة الإبل:

إذا بلغت النصاب ـ وهو خمس ـ ففيها شاة من الضأن أو الماعز، وهكذا فى كل خمس شياه.. إلى أن تبلغ عشرين، ففيها أربع شياه فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها «بنت مخاض»، وهى الناقة التى لها سنة، وسُميت بذلك لأن أمها آن لها أن تصير من الحوامل، فإذا بلغت ستًا وثلاثين، ففيها «بنت لبون»، وهى (الناقة التى لها سنتان)، وسُميت بذلك لأن أمها آن لها أن تضع ثانيًا وتصير ذات لبن، فإذا بلغت ستًا وأربعين ففيها «حقة»، وهى (الناقة التى لها ثلاث سنين، لأنها استحقت أن تُرْكَب، ويُحْمَل عليها، ويطرقها الفحل)، فإذا بلغت إحدى وستين ففيها «جذعة»، وهى التى لها أربع سنين وسميت الناقة بذلك لأنها سقط مقدم أسنانها، فإذا بلغت ٧٦ ففيها اثنان من بنات لبون، فإذا بلغت ٩١ ففيها حقتان، فإذا بلغت ١٢١ ففيها ثلاث بنات لبون، فإذا

بلغت ١٣٠ تغير الواجب فيكون فى كل ٤٠ بنت لبون، وفى كل خمسين حقة، وفى ١٣٠ بِنْتَا لبون وحقة، وفى ١٤٠ حقتان وبنت لبون، وفى ١٥٠ ثلاث حقاق، وهكذا يكون التفاوت بزيادة عشرة فعشرة. و«المالكية قالوا: إذا بلغت الإبل ١٢١ إلى ١٢٩ خُيِّرَ آخِذُ الزكاة بين أن يأخذ ثلاث بنات اللبون أو حقتين»، يحدد ما ذكرناه ما أخرجه البخارى من حديث أنس حينما وجهه أبو بكر رضى الله عنه إلى البحرين لتحصيل الزكاة.

ما يؤخذ فى الزكاة عند عدم السن المطلوبة حسبما تقدم، من لزمه الزكاة ولم يوجد عنده، دفع الأدنى منه، وأخرج الفرق بالمال أو أخرج الأعلى سنًا وأخذ الفرق مالاً من الآخِذ.

زكاة البقر:

تجب الزكاة فى البقر إذا بلغ النصاب، وهو «ثلاثون بقرة». فإذا بلغ البقر هذا العدد أخرج عنها «تبيعًا أو تبيعة»[1]. (وهو ما بلغ سنة ودخل فى الثانية) فإذا بلغت أربعين ففيها «مسنة»[2]، (وهى ما بلغت سنتين ودخلت فى الثالثة)، فإذا زادت على ذلك ففى كل ثلاثين تبيعًا أو تبيعة، وفي كل أربعين مسنة، ففى الستين تبيعان، وفى السبعين

(١) الحنفية قالوا: إذا زاد العدد على ١٢٠ استوفت الفريضة، وكانت زكاة ما زاد كزكاة النصاب الأول، فيجب فى كل خمس يزيد عن المائة وعشرين شاة مع الحقتين.

(٢) المالكية قالوا: «التبيع» ما أتى على سنتين ودخل فى الثالثة، و «المسنة» ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة.

مسنة وتبيع، وفي الثمانين مسنتان، وفي التسعين ٣ أتبعة، وفي المائة مسنة وتبيعان، وفي مائة وعشر مسنتان وتبيع، وفى ١٢٠ أربعة أو ثلاث مسنات، وهكذا.

زكاة الغنم:

أول نصاب الغنم أربعون، وفيها شاة من الضأن أو الماعز بلغت سنة، إلاّ أن الحنابلة قالوا: تجزئ الشاة التى لها ستة أشهر، ويتخير المزكّى أفضل شىء من المال ليزكى به، لقول الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[١]، فإذا بلغ عدد الغنم ١٢١ ففيها ساقان، فإذا بلغت ٢٠١ ففيها ثلاث شياه، وفى ٤٠٠ أربع شياه، ومازاد ففى كل مائةٍ شاة.

زكاة الخلطة:

وهى أن يشترك شخصان أو أكثر فى نوع من الغنم، فتختلط الغنم ببعضها، بحيث يشترك الخُلَطَاء فى تأجير راع واحد، وترعى الغنم في مكان واحد، وتشرب وتبيت وتسرح وتحلب، ويتحد فحلها، وهكذا[٢].

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ٩٢.

(٢) ذهب الأحناف إلى أنه لا تأثير للخلطة، فلا تجب الزكاة إلاّ إذا كان نصيب كل واحد يبلغ نصابًا على انفراد.

والمالكية قالوا: خلطاء الماشية كمالكٍ واحدٍ في الزكاة، ولا أثر للخلطة إلاّ إذا كان كُلٌ من الخليطين يملك نصابًا.

والحنابلة قالوا: لا تؤثر الخلطة إلاّ فى المواشى، فتؤثر فى ايجاب الزكاة وفى =

زكاة الركَـــاز:

الركاز: هو ما رَكَزَهُ الخالقُ أو المخلوق فى الأرض.

١- فالذى ركزه الله فى الأرض: كالذهب، والفضة، والحديد، والمنجنيز، والنفط، وكل ما له قيمة ينتفع الناس بها.

٢- ما ركزه الخلق: وهو ما يدفنه بعض الناس فى الأرض ثم يغفلون عنه أو يموتون تاركين له قبل أن يُعلموا به غيرهم، وكل هذه الأشياء يجب فيها الخمس بعد خصم المصاريف وتكاليف البحث عنها واستخراجها، لقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[1]. ولقول الرسول ﷺ فيما أخرجه أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما: «فى الركاز الخُمس»، وعن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال فى كَنْز وجده رجل فى خربة جاهلية: «إذا وجدته فى قرية مسكونة أو سبيل مُؤْتَاه فَعَرِّفْهُ، وإن وجدت فى خربة جاهلية أو فى قرية غير مسكونة ففيه، وفى الركاز الخُمس»[2].

= تكثيرها وتقليلها، فلو ملك شخصان فأكثر ٤٠ شاة وتحققت شروط الخلطة وجبت فيها الزكاة.

والشافعية قالوا: إن الخلطة تؤثر فى الزكاة ويصير مال الشخصين أو الأشخاص كمال واحد، مثال ذلك رجلان، لكل واحد عشرون شاة، يجب بالخلطة شاة، ولو انفرد كل واحد لم يجب عليه شيئًا.

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٦٧.

(٢) أخرجه البيهقى بسند حسن.

وأخرج البيهقى عن عبد الله بن بشر الخثعمى عن رجل من قومه قال: «سَقَطَتْ عليَّ جرةٌ من دير قزيب بالكوفة فيها أربعة آلاف درهم، فذهبت بها إلى علىّ كرّم الله وجهه فقال: اقسمها خمسة أقسام، فقسمتها فأخذ منها علىٌّ رضى الله عنه خمسًا وأعطانى أربعة أخماس، فلما أدبرت دعانى، فقال: فى جيرانك فقراء ومساكين؟ قلت: نعم، قال: خذها فاقسمها بينهم»، والركاز يؤخذ منه الخمس كالغنيمة، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾(1).

١ـ أن يجد الإنسان الركاز أو المعدن في أرض لا يوجد لها مالك، أو فى طريق غير مسلوك، ففى ذلك الخُمس بلا خلاف للنصوص المتقدمة.

٢ـ إن وجده فى مِلْك انتقل إليه بالميراث، فهو للورثة، فإن اتفقت الورثة على أنه لم يكن لمورثهم فهو للمالك الأول، فإن لم يُعرف له مالك فهو كالمال الضائع يُرد إلى بيت مال المسلمين.

زكاة الزروع والثمار:

ثبتت فرضية زكاة الزروع والثمار بقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾(2).

---

(1) سورة الأنفال ـ من الآية ٤١.

(2) سورة الأنعام ـ من الآية ١٤١.

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه الحاكم والطبرانى، عن أبى موسى، ومعاذ، رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعثهما إلى اليمن يعلمان الناس أمر دينهم، فأمرهم ألاّ يأخذوا الصدقة إلاّ من هذه الأربعة: «الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب».

- والزرع هو ما استنبت بالبذر بقصد استغلال الأرض من الأقوات وغيرها.

- والثمار هى ما تؤكل من أحمال الأشجار مِمَّا لها ساق أو لا ساق لها.

سبب إخراج الزكاة:

إن من أجَلِّ نعم الله على الإنسان أن مهد له هذه الأرض وجعلها صالحة للإنبات والإثمار، وأجرى سُننه الكونية بذلك فجعلها المصدر الأول لرزق الإنسان ومعيشته وقوام بدنه.

والله هو الذى سخر الأرض وجعلها ذلولا، وبارك فيها وقَدَّرَ فيها أقواتها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٠.

﴿وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[2].

فنحن نخرج الزكاة شكرًا لله سبحانه وتعالى، ووفاءً منًا ببعض حقه علينا، ومواساة للمحتاجين من خلقه.. ذلك لأن ما تُخرجه الأرض من زرع وثمر هو من فضل الله علينا، فأكلنا منها هنيئًا، وعلينا أن نقدم الشكر لله، جزاء ما أسبغ علينا من فضله.

ما تجب فيه الزكاة من الحاصلات الزراعية:

ثبت بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة زكاة الخارج من الأرض فى الجملة[3].

---

(١) سورة عبس ـ الآيات من ٢٤: ٣٢.

(٢) سورة يس ـ الآيات من ٣٣: ٣٥.

(٣) الحنفية قالوا: فى كل ما أخرجت الأرض الزكاة، ولا يستثنون أى شىء مما تنبت الأرض، وعلى ذلك يجب إخراج الزكاة من: قصب السكر، والزعفران، والورود، والياسمين، وما شاكلها، والقطن، والكتان، وكذلك جميع الفواكه، كالتفاح، والكمثرى، والخوخ، والمشمش، والتين، والمانجو، والخيار، والقثاء، والبطيخ، والباذنجان، والجزر، واللفت...

شروط زكاة الزروع والثمار:

١ـ الإسلام.

٢ـ البلوغ.

٣ـ العقل.

٤ـ الحرية.

٥ـ الملك التام.

ـ ومن المعلوم أن الزكاة فى مال الصبى والمجنون لا تجب، إلاّ أن

= ـ وقد استدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ (سورة البقرة ـ من الآية ٢٦٧) وبعموم قوله ﷺ: «وفيما سقت السماء العشر، وفيما سُقى بالنضح نصف العشر»، يعنى فيما سُقى بالمطر أو السيل بدون آلة العشر، وفيما سقى بماكينة أو ساقية أو غير ذلك من آلات رفع المياه نصف العشر، وإذا باع الزرع قبل صلاحه وجبت الزكاة على المشترى.

ـ وأبو حنيفة جعل الآية الكريمة مرآته فأبصر الحق فأوجبها فى المأكول، قوتًا كان أو غيره، وذلك أبلغ فى شكر نعمة الله، وأحوط للمساكين.

ـ والشافعية قالوا: يجب الزكاة فى كل: (١) ما يُقتات ويُدَّخر، مثل: الشعير، والأرز، والذرة، والعدس، والحمص، والفول، فإن لم يكن صالحًا للاقتيات كالحلبة، والكراويا، والكزبرة، والكتان، فلا زكاة فيه. وكذلك ما يُقتات به عند الضرورة كالترمس ونحوه، فلا زكاة فيه، واشترطوا أيضاً: (٢) أن يكون مملوكًا لمالك محدد بعينه، فلا زكاة فى الموقوف على المساجد. (٣) أن يكون نصابًا كاملا فأكثر، ولا يزكى من الثمار إلاّ العنب والرطب.

ـ والحنابلة قالوا: تجب زكاة الزروع والثمار بشرطين: (١) أن تكون صالحة للادخار. (٢) أن تكون نصابًا وقت وجوب الزكاة.

ـ المالكية قالوا: تجب زكاة الزرع والتمر، ويتعلق وجوب الزكاة بها من وقت نُضْجها. قال مالك: إذا أزهى النخل، وطاب الكَرْم (العنب) وأسودَّ الزيتون، وأَسْفَى الزَرع عن الماء، وجبت فيه الزكاة، ومعنى أسفى الزرع، أى: خَشُنَ أطراف سُنْبُله.

هذين الشرطين غير معتبرين فى زكاة الزروع والثمار، فتجب زكاة الزروع والثمار فى مال الصبى والمجنون، ولايشترط فيها حولان الحول، بل يجب إخراج الزكاة عند الحصاد أو قطع الثمر.

نصاب زكاة الزروع والثمار ومقدار زكاتها:

صح عن رسول الله ﷺ : «فيما سقت السماء العشر، وفيما سقى بالضَّخ نصف العشر». وقوله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوْسُق من التمر صدقة»، فيجب العشر فيما سقت السماء ونصف العشر فيما سقى بالآلات[1].

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الزكاة لا تجب فى شىء من الزروع والثمار حتى تبلغ خمسة أوسق بعد تصفيتها من التبن والقشر، فإن تُرِكَت فى قشرها ـ كالأرز ـ فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق[2].

ـ والوسق: ستون صاعًا بالإجماع.. والصاع: أربعة أمداد. والمد: رطل وثلث بالبغدادى.

ـ وبالكيل المصرى خمسون كيلة، «أربعة أرادب وكيلتان فيما يكال»، وبالوزن= ٦٥٠ كيلو جرامًا تقريبًا فيما يوزن، يخرج المزكى بعد بلوغ النصاب ـ كما أوضحنا ـ العشر أو نصف العشر.

(١) رواه الإمام أحمد، والشيخان، وابن ماجة، والدارقطنى، والبيهقى، وغيرهم.
(٢) ذهب أبو حنيفة إلى وجوب الزكاة فى القليل والكثير، لعموم قول الله تعالى: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾، وقول رسول الله ﷺ : «فيما سقت السماء العشر».

وعلى هذا يُقاس ثمن ما لا يدخر مِمَّا تخرجه الأرض على ما يُدَّخر من الأقوات، «مثلا إذا زرعت الأَرض قطنًا أو كتانًا أو فجلا فإنه يُقدر ثمن هذه الأشياء، فإن بلغ ثمنها ثمن خمسين كيلة من القمح أو الشعير وجبت فيها الزكاة».

هل الزكاة على مالك الأرض أم على مستأجرها؟:

مالك الأرض إمَّا أن يزرعها بنفسه، وإمّا أن يؤجرها لغيره نظير أجر معلوم.

- ذهب أبو حنيفة إلى أن الزكاة على مالك الأرض، لأن النماء له مع تمتعه بنعمة الملك، فكان أولى بالإيجاب عليه.
- وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزكاة على المستأجر، لأن الزكاة حق الزرع، والمالك ليس فى يده الزرع.
- وللتوفيق بين الرأيين نرى أن الزكاة تجب على الطرفين، كلٌّ فيما استفاده، فالزارع الذى استأجر الأرض عليه أن يخصم ما دفعه من مال الأجرة، والنفقات، وثمن البِذْر، ويخرج الزكاة فيما تبقى له إن صار نصابًا فارغًا من كل دَيْنٍ تعلق بالزرع.
- والمالك عليه الزكاة من المال الذى قبضه بعد دفع الضرائب وما شاكلها - إنْ بقى معه النصاب (وإلى هذا الرأى ذهب الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله).

* * *

الفصل الثالث

هل فى العسل ودود القز ومزارع الدواجن زكاة ؟

١ـ عسل النحل:

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

والعسل من الطيبات التي امتن الله بها علينا، فيجب شكره بإخراج الزكاة عنها، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد والشافعى، لما رَوَىَ ابن ماجة عن عمر وبن شعيب عن أبيه، عن جده، عن النبى ﷺ: «أنه أخذ من العسل العشر». كما روى أبو داود قال: «جاء هلال: (أحد بنى متعان) إلى الرسول ﷺ، بعشور نحل له ـ وكان سأله أن

---

(١) سورة النحل ـ الآيتان ٦٨، ٦٩.

يحمى واديًا يقال له (سلبة)، فحمى له رسول ﷺ ذلك الوادى فلمّا ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب سفيان بن وهب إلى عمر يسأل عن ذلك فكتب عمر: إنْ أَدَّى إليكَ ما كان يؤدى إلى رسول الله ﷺ من عشور نحله فَاحْمِ له (سلبة)، وإلاّ فإنما هو ذباب غيث يأكله من يشاء».

وقال مالك، وفى قول الشافعى: لا زكاة فى العسل.

ومقدار الزكاة فيه العشر إنْ لم يكلف صاحبه مالاً، ونصف العشر إنْ تَكَلَّفَ.

ونصابه يُقاس على نصاب الزرع بالوزن تمامًا.

٢ـ دود القز وغيره:

إن عصرنا هذا استُحْدِثَتْ فيه أمور لم تكن فى عصر فقهائنا السابقين، والقياس الصحيح يجعلنا نقيس هذه الأشياء على ما كان فى عصر السابقين، فمثلا: عندنا «دود القز» الذى يُرَبَّى على ورق التوت وينتج ثروة من الحرير الفاخر، وكذلك مزارع الدواجن التى تنتج كميات هائلة من البيض والدجاج، وكذلك ما يتخذ من الأبقار لإدرار اللبن، ويكون من ورائها منتجات الألبان المختلفة من الجبن والسمن والقشدة وغيرها.

وهذه الأشياء يتم تجنيب ما يصرف عليها لإعاشتها ورعايتها

ومسكنها وأجرة العاملين القائمين على استثمارها، وما شاكل ذلك، ثم تخرج منها الزكاة من صافى الربح إذا صار نصَابًا، قياسًا على الزرع، (العُشْر: إذا تكلفت، والنصف: إذا لم تتكلف)، وأيضًا تنطبق هذه الأحكام على الثروة السمكية، والجواهر المستخرجة من البحار.

٣ـ زكاة عروض التجارة:

العروض جمع عَرْض «بفتح العين وسكون الراء»، اسم لما قابل النقدين من صنوف الأموال: فيشمل كل ما يُتَّجَرُ فيه ـ ولو حيوانًا ـ والتجارة تقليب الأموال المملوكة بالمعارضة بقصد الربح، والثروة التى يستغلها التاجر فى تجارته لها صور ثلاث:

١ـ إمّا أن تكون الثروة التجارية فى صورة عروض وبضائع اشتراها التاجر بثمن ما، ولم تُبَعْ بعد.

٢ـ أو تكون فى صورة نقود حاضرة يحوزها فى يده فعلا، أو تحت تصرفه، كالتى يضعها فى البنك.

٣ـ أو تكون فى صورة ديون له على بعض العملاء أو غيرهم مِمَّا تقتضيه طبيعة التجارة التعامل معهم، ولا شك أن من هذه الديون ما هو ميئوس منه، ومنها ما هو مرجو الحصول، ولا يغيب عن بالنا أن التاجر كما يكون له ديون على الآخرين، يكون هو أيضًا مدينًا للآخرين.

كيفية إخراج زكاة عروض التجارة:

إذا حل موعد الزكاة بمضى عام من بداية مزاولته للتجارة، فعليه أن يضم الثروة إلى بعضها: رأس المال، والأرباح، والمدخرات، والديون المرجوة، فيقوم بجرد تجارته، ويُقَدِّر قيمة البضائع ويحوّل ثمنها إلى نقود، وكذلك ما له من ديون مرجوة غير ميئوس منها، ويُخرج من كل ذلك ربع العشر ٢,٥٪، على أن تُقَوَّمَ السلعة بالسعر الحالى وقت إخراج الزكاة.

تعجيل الزكاة:

يجوز لمن يملك نِصَابًا أو أكثر تعجيل الزكاة لسنة أو أكثر، بشرط أن يكون إخراجها بعد مِلْكِ النصاب، كأن يجد أسرة محتاجة، أو يدفع بها دَيْنَ مَدِينٍ فيساعده على حل كُربته، لحديث أخرجه البزار عن ابن مسعود: أن النبى ﷺ تَعَجَّلَ من العباس صدقة سنتين.

تأخير الزكاة لا يسقطها:

مَنْ مَضَى عليه سنوات لم يؤد زكاته لزمته الزكاة عن جميع السنين، بحيث لا ينقص المال عن النصاب، وتبقى فى ذمته إذا كان قد أنفق ما جمعه تهربًا من الزكاة، لقول رسول الله ﷺ : «فَدَيْنُ الله أَوْلَى بالقضاء».

ضياع الزكاة قبل دفعها إلى مستحقيها:

إذا استقر وجوب الزكاة فى المال بأن حل عليها الحول، أو حان الوجوب بحصاد الزرع وتلف المال قبل أداء الزكاة كله أو بعضه، فإن كان بسبب إهماله فالزكاة دَيْنٌ فى ذمته، أمّا إن تلف بدون تَعَدٍّ منه فتسقط الزكاة عنه بتلف المال.

* * *

الفصل الرابع

هل فى الأسهم والسندات زكاة؟
وما هى زكاة الفطر؟

يعيش المجتمع الإنسانى اليوم نهضة صناعية وتجارية، دفعت برجال المال إلى استحداث معاملات مالية لم تكن معروفة في العصور الماضية، من ذلك:

الأسهم والسندات:

فالسهم نوع من الورق المالى الذى تتم به معاملات خاصة فى «بورصة الأوراق المالية»، وهو جزء من أجزاء متساوية لرأس المال، فمثلاً: إذا أراد إنسان أن يُكَوِّن شركة كبيرة كشركة الفنادق أو الغزل والنسيج أو الطيران لنقل الركاب أو غير ذلك، فإن المؤسسين لأى شركة يقومون بتقدير إجمالى لرأسمالها، ثم يقومون بتقسيم رأس المال إلى أسهم متساوية ويطرحونها بين الجماهير، فيقبل الناس على شراء الأسهم، فتتكون الشركة المطلوبة، ويكون رأس مالها، شركة بين المساهمين، كلٌ على حسب ما اشتراه من أسهم، وهذا النوع من

المعاملات المالية قابل للمكسب والخسارة، وهذا مما يضفى على الأسهم حل التعامل بها.

أمّا السندات:

فهى تعهد مكتوب من البنك أو الشركة - أو غير ذلك من الجهات المالية - لحامل السند نظير ما دفعه ثمنًا له، بالإضافة إلى الفائدة المقررة الثابتة، بشرط ألاّ يسترد ثمن السند إذا أراد إلاّ فى الوقت الذى حددته الجهة البائعة، وعلى هذا فإن التعامل به حرام، لاشتماله على فوائد ربوية.

- وللسهم والسند قيمة اسمية عند الإصدار، وقيمة تتجدد فى أسواق الأوراق المالية كل يوم، وكل منهما قابل للتعامل والتداول بين الأفراد، مما يجعل بعض الناس يتخذ منهما وسيلة للاتجار بالبيع والشراء، وهما بهذا يأخذان حكم التجارة، فيقوّما كما تقوَّم عروض التجارة، ويخرج عليها ٢,٥٪ زكاة.
- فإن زكت الشركة عن أموال المشتركين - سواء كانت أسهمًا أو سندات - فلا زكاة على المساهم، منعًا للازدواج.
- أمّا إذا لم تقم الشركة بإخراج الزكاة وتركت ذلك للأشخاص، فإذا كان ما للإنسان من أسهم أو سندات تساوى نصابًا بذاتها أو بضمها إلى ما عنده من مال، وحال عليه الحول، وجب عليه أن يزكى، وهكذا الحال فى كل أموال تُقْتَنَى أو تُتَّخذ للتجارة، سواء قام بإدارتها أو شارك غيره.

زكاة الفطـر:

وهى واجبة على كل مسلم حر قادر.. وقد فرضها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ فى السنة التى شرع فيها صيام شهر رمضان.. فقد أخرج مالك والنسائى عن عبد الله بن عمر، أن النبى ﷺ، فرض زكاة الفطر من رمضان، على كل نفس من المسلمين ـ حرًا أو عبدًا، رجلاً أو امرأةً، صغيرًا أو كبيرًا ـ صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير.

دليلها:

زكاة الفطر مشروعة بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة.. قال أبو سعيد الخدرى، رضى الله عنه: كان النبى ﷺ يقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾[1] ثم يقسم الفِطْرَةَ[2] قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر.

حكمة مشروعيتها:

أنها تطهير للصائم مِمَّا وقع فيه من اللغو والرفث، ولتكون عونًا للفقراء على كفايتهم، وإغنائهم عن ذل السؤال فى أيام العيد. أخرج أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة

---

(١) سورة الأعلى ـ الآيتان ١٤، ١٥.

(٢) الفِطْرَةُ: صَدَقَةُ الفطر.

للمساكين، مَنْ أدَّاها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات».

على من تجب؟:

تجب على المسلم الحرّ الموسر الذى يملك ما يزيد عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته.

مقدارهـــا:

الواجب فى صدقة الفطر كما حدده الرسول ﷺ ، صاع من القمح أو الشعير، أو التمر، أو الزبيب، أو الأَقط «الجبن المجفف غير منزوع الزبد» أو الأرز أو الذرة، وهذه الأصناف مما يُقتات به غالبًا.

قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: «كنا إذ كان فينا رسول الله ﷺ نُخْرِجُ زكاة الفطر عن كل صغير وكبير، حرّ ومملوك، ذكر أو أنثى، صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من زبيب».

قَدْرُ الصاع كيلاً ووزنًا عند الفقهاء:

الصاع: مكيال تكال به الحبوب ونحوها، وقدَّرَهُ أهل الحجاز قديمًا بأربعة أمداد، أى: بما يساوى عشرين ومائة ألف درهم. وقدّره أهل العراق بثمانية أرطال.

والأحناف قدروا: الصاع بالكيل المصرى بـ ٢,٣٣ قدحين، فالكيلة المصرية تجزئ عن ٧ أفراد إذا زِيدَ عليها ١/٦ قدح، باعتبار أن الواجب عنده على الفرد ٠,٥ صاع، ويجب عنده من التمر والزبيب والشعير صاع كامل.

والشافعية قالوا: الصاع قدحان بالكيل المصرى، فالكيلة تجزئ عن ٤ أفراد.

والمالكية قالوا: الصاع ١,٣٣ قدح، فالكيلة تجزئ عن ٦ أفراد بالكيل المصرى، والصاع يساوى وزنًا بالجرامات ٢,٧٦ كيلو جرام.

* * *

الفصل الخامس

تساؤلات اجتماعية مهمة فى موضوع الزكاة

أيهما أفضل: دفع القيمة أم المنصوص عليه؟:

١ـ ذهب أبو حنيفة إلى جواز إخراج القيمة نقدًا بدلاً من الأعيان المنصوص عليها، وهى: (القمح، والأرز، والشعير، والتمر، والزبيب).

٢ـ ذهب الأئمة الثلاثة إلى وجوب إخراج الزكاة من هذه الأصناف بعينها فلا تجزئ القيمة عندهم، وقصدوا بذلك أن تنتفع أسرة الفقير بما يقدم إليها، لا أن ينتفع هو وحده بالمال.

ولكن تحدث العلماء فى هذا الموضوع كثيرًا، وانتهوا منه إلى أن المدار فى الأفضلية على مدى انتفاع الفقير بما يُدفع له، فإن كان انتفاعه بالمال أحسن دُفع إليه لسداد دينه، أو شراء ملابس، أو غير ذلك، وإن كان إعطاؤه ما يقتات به أفضل فيراعى ذلك، وهذا الحكم الذى نختاره ينسحب على جمَيع الزكوات التى ليست مالاً فى ذاتها.

هل يجوز نقل الزكاة إلى غير بلد المزكى؟:

إن القصد من إخراج الزكاة هو كسوة العريان، وإطعام الجائع، وتفريج كربة المساكين، الذين يعيشون بين الأغنياء فى حى أو بلد واحد، حتى تؤدى الزكاة مهمتها فى تطهير قلوب الفقراء من الحقد، والأغنياء من الشح، فلا يكون هناك سطوة من الفقراء على أموال الأغنياء، ولاشح من الأغنياء بمال الله على الفقراء، والأصل المتفق عليه أن الزكاة تُفَرَّقُ فى بلد المال الذى وجبت فيه الزكاة، لأن الرسول ﷺ عندما بعث بمعاذ الى اليمن أمره أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم فيردها على فقرائهم، وقد نفذ معاذ وصية النبى ﷺ ، ففرق زكاة أهل اليمن فى المستحقين من أهل اليمن، بل فرق زكاة كل إقليم فى المحتاجين منه خاصة.

ـ وأمّا أبو حنيفة فقد قال: يكره نقلها، إلاّ إذا كانت لقرابة محتاجين، لما فى ذلك من صلة الرحم.

ـ وقال مالك: لا يجوز نقل الزكاة إلاّ إذا وقع بأهل بلد حاجة.

ـ وقال النووى: يجوز نقل الزكاة إذا كان ذلك للإمام أو الساعى عليها من بلد إلى بلد لمصلحة إسلامية معتبرة، كأن يكون هناك من هم أكثر حاجة ممن هم فى بلد المزكى، وكذلك فى المشاريع التى تهم المسلمين.

وقت وجوب إخراج زكاة الفطر:

اتفق العلماء على أن زكاة الفطر تجب فى آخر يوم من رمضان، ويجوز إخراجها فى أى يوم من رمضان، على شرط أن تُؤَدَّى قبل الخروج لصلاة العيد. والمولود الذى يولد قبل فجر يوم العيد تُخْرَجُ عنه الزكاة، ويخرجها الإنسان عن نفسه، وعَمَّنْ تلزمه نفقته: مَن زوجة، وأولاد، وخدم، ومن تحت رعايته من الآباء والإخوة.

مصارف الزكاة:

تصرف الزكاة للأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

١ و ٢ـ الفقراء والمساكين: هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم، أى أنهم لا يملكون الأشياء الضرورية لحياة كريمة، كأن يكونوا فى حاجة إلى ملبس ومسكن يؤويهم، وأجرة مواصلات، وآلة حرفة يستخدمونها فى عملهم.

والفقراء والمساكين ليسوا هم الذين ينتقلون من باب إلى باب، وإنما الفقراء والمساكين هم الذين يتعففون ولا يسألون الناس إلحافًا[٢].

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٦٠.

(٢) ألْحَفَ السائلُ: ألَحَّ.

رَوَى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين الذى تَرُدُّهُ التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذى يتعفف، اقرأوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]».

ـ وإن من مقاصد الزكاة، كفاية الفقير وسد حاجته، فيعُطَى من الصدقة القدر الذى يخرجه من الفقر إلى الغنى، ومن الحاجة إلى الكفاية، قال عمر رضى الله عنه: «إذا أعطيتم فأغنوا».

٣ـ العاملون عليها: وهم الذين يقومون بجمع الزكاة نيابة عن الإمام، وأمناء المخازن التى تودع بها الزكاة، والرعاة للنعم، والكتبة المستخْدَمُون فى إدارتها.

٤ـ المؤلفة قلوبهم: وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام، أو أن يكون هناك بعض ضعاف النفوس من المسلمين فيعطوا من الزكاة لتثبيت قلوبهم، أو لكف شرهم عن المسلمين، أو رجاء نفعهم فى الدفاع عن أرض الإسلام[2].

٥ـ وفى الرقاب: الرقاب هم الأرقاء الذين تعاقدوا مع سادتهم على فك رقابهم ـ عتقهم ـ نظير مبلغ من المال، فَيُسَاعَدُونَ من مال الزكاة

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧٣.

(٢) وقد قال الشافعية: إن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح ولا يعطون من الزكاة، لأن الزكاة لا حق فيها للكفار.

والحنفية قالوا: انتسخ سهم المؤلفة قلوبهم وليس لهم أى شىء من الزكاة بعد النبى ﷺ.

والحنابلة قالوا: إن حكم المؤلفة باقٍ لم يلحقه نسخ.

إسهامًا فى منحهم الحرية. أو شراء العبيد من مال الزكاة وعتقهم. وإلى الرأى الأول ذهب أبو حنيفة والشافعى وغيرهما، وإلى الرأى الثانى ذهب مالك وأحمد، وإن كانت عبارة الآية الكريمة تشمل الأمرين معًا.

ونحن فى العصر الحديث قد لانجد العبيد الذين يعطون هذا السهم لفك رقابهم، ولكننا نجد المسلمين الذين يقعون أسرى فى أيدى أعداء الإسلام، فذهب بعض العلماء - ومنهم الإمام أحمد بن حنبل - إلى أن هؤلاء الأسرى يأخذون من هذا السهم فدية فك رقابهم.

- كذلك الشعوب المستعمرَة تأخذ من هذا السهم مساهمة من المسلمين فى العمل على إعانتها وتحريرها من ذل الاستعمار.

٦- والغارمين: وهم الذين تحملوا ديون غيرهم ثم عجزوا عن أدائها، فيعطون من سهم الزكاة مساعدة لهم على فعل الخير. أو المدينون الذين تعلقت بذمتهم ديون لقضاء مصالح شرعية، أو الذين أصيبوا بكوارث مفاجئة كحريق وخلافه.

٧- وفى سبيل اللّه: وسبيل اللّه هو كل طريق موصل إلى مرضاة الله، وقد أجمع جمهور العلماء على أن المراد هنا الغزاة (الذين يجاهدون فى سبيل اللّه) «المجندون وليس لهم رواتب فى الدولة».

وقال بعض العلماء: هو تأمين طُرق الحج، وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج. ويشمل هذا فى زماننا إعداد الدعاة

للإسلام وإرسالهم إلى بلاد الكفار. وكذلك النفقة على المدارس المتخصصة فى العلوم الشرعية، فَيُعْطَى المدرسون فيها رواتبهم من هذا السهم. وكذلك الاستعداد بأدوات الحرب وشراء الأسلحة التى تقوّى شوكة المسلمين، ويدخل فيه كذلك إنشاء المستشفيات وتعبيد الطرق، وكذلك بناء المسجد الوحيد فى البلدة، وتحفيظ القرآن الكريم.

٨ـ **وابن السبيل**: اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يُعْطَى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده، على أن يكون سفره فى طاعة وطلب علم، ذلك لأن الإسلام دعا إلى السياحة ورَغَّبَ فى السفر والسير فى الأرض، فكانت عناية الإسلام بالمسافرين الغرباء كلون من ألوان التكافل الاجتماعى، فلم يكتفِ الإسلام بالترغيب فى سد الحاجة الدائمة للمواطن فى بلده، بل زاد على ذلك الرعاية الدائمة للحاجات الملحَّة والطارئة التى يتعرض لها بعض الناس لأسباب خارجة عن إرادتهم.

ولقد كان من عناية المسلمين أن يقيموا بعض الدور فى الطرق العامة يطلقون عليها «السُّبُل»، ينزل فيها الضعيف المنقطع، وينزل فيها من لا مأوى له، فيجد حاجته من المطعم والمشرب وعلف دابته إعانة له على الاستمرار فى سفره الذى يحصل منه العلم النافع والخير الكثير وغير ذلك.

والحنابلة قالوا: إن أبناء السبيل هم الذين يتسولون ويتكففون

الناس، والذين اتخذوا من أرصفة الشوارع وجوانب الطرقات مأوى لهم، فهم يُعطون من مال الزكاة ما يضمن لهم عيشة حسنة، مع شراء آلات عمل لهم لتحويلهم من طاقـات معطلة إلى قدرات منتجة.

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا: أنه يدخل في معنى ابن السبيل «اللقطاء»، فهؤلاء تُبْنَى لهم الملاجئ، وتؤسس لهم المدارس، للعمل على رعايتهم وتنشئتهم على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وتدريبهم على العمل المنتج البناء.

هل يُسْتَحَبُّ إعطاء الصدقة للأقارب والصالحين؟:

يدفع الرجل بزكاة ماله أو عروض تجارته أو زكاة فطره إلى الأقارب الذين لا تلزمه نفقتهم، بشرط حاجتهم لها، لما رواه أحمد بسنده عن رسول الله ﷺ : «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى القربى اثنتان: صدقة وصِلَة»، فيعطى إخوته وأخواته، وأعمامه وأخواله، وعماته وخالاته، وما تفرع منهم.

ومن المعلوم أن الرجل لا يعطى زكاته لا لأصله ولا لفروعه، ولا لزوجته التى فى عصمته، لكن إذا كان للزوجة مال وزوجها فقير جاز لها أن تعطى زوجها من صدقتها وهى فى عصمته، لأن نفقته ليست واجبة عليها.

كما أنه على المزكى أن يتحرى بالبحث عن أهل الصلاح والعلم

وأرباب المروءات والمحافظين على الصلوات فيعطيهم من زكاته، لما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث طويل: «فأطعموا إطعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين»[1].. وكذلك الطلبة الذين يدرسون العلم، فإنهم أولى من غيرهم، إعانةً لهم على الاستمرار فى طلب العلم.

هل فى المال حق سوى الزكاة؟:

الزكاة هى الحق الشرعى الذى أوجبه الله تعالى فى المال، متى قامت بحاجة الفقراء، وأطعمت الجائعين، وكست العارين، فإذا لم تَفِ الزكاة بذلك وجب فى المال ما يسد حاجة هؤلاء، فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذى يقوم بكفاية المحتاجين، لقول الرسول ﷺ: «إن فى المال حقًا سوى الزكاة»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[2]... إلخ.

والزكاة ليست مِنَّةً يهبها الغنى للفقير، وإنما هى حق استودعه الله فى يد الغنى ليؤديه لأهله من المحتاجين، وإخفاء الصدقة أَوْلَى من الإعلان بها، لأن صدقة السر تطفئ غضب الرب، لكن يتأكد الإعلان بها عندما يسيطر الشح على النفوس فيكون ذلك استنهاضًا

(١) الحديث رواه أبو بكر القرشى فى كتاب «الإخوان» أى فضل الإخوان، والديلمى عن أبى سعيد الخدرى، وابن المبارك فى البر والصلة.

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ١٧٧ . والحديث رواه الترمذى عن فاطمة بنت قيس فى كتاب الزكاة.

للهمم وتذكيراً للأغنياء بحق الفقراء الذى أوجبه الله عليهم فى أموالهم، يقول الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1].

هل تغنى الضرائب عن الزكاة؟:

الزكاة حق الله، وهى فرض مقدر محدود لا يزيد ولا ينقص، كما أن الله حدد الجهات التى تصرف إليها، والمسلمون لا يتهربون من أدائها بوازع الدين ويقظة الضمير.

أمّا الضرائب فهى أموال يحددها الحكام طبقًا لاحتياجات المجتمع، وهى تزيد وتنقص، ويوجه ما يجمع منها فى غير وجوه الزكاة. من هنا، فإن الزكاة لا تسقط بالضرائب، والضرائب لا تسقط بالزكاة. ذلك لأن الضرائب حق المجتمع، والزكاة حق الله، وقد يتهرب الإنسان من دفع الضرائب لشعوره بالظلم، أمًّا الزكاة فهى عدلٌ محقق، ثم إن الضرائب تعود فى شكل خدمات على دافعها، أمّا الزكاة فإنها تُدفَع إلى بطون جائعة، وأجساد عارية، وغريب لا مأوى له، وإذا كان المسلمون فى الدول الغنية يدفعون ضرائب باهظة فأولى لهم أن يجمعوا زكاتهم ويبعثوا بها إلى أى قطر إسلامى فقير، يساعدون بذلك إخوانهم، ويردون غائلة الفقر عنهم.

والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٧١.

صدقة التطوع:

كل ما مر عليك من الزكوات فرضٌ من الله أوجبه بنص القرآن والسنة النبوية المطهرة وإجماع الأمة متى تحققت شروطه، يُجَازَى المرء على فعله أحسن الجزاء ويُعَاقَب على تركه أشد العقاب.

وهناك نوافل كلما فعلها الإنسان ازداد قربًا من ربه، وأصبح محلا لرضاه، لأنه جاء فى الحديث: «مازال عبدى يتقربُ إلىَّ بالنوافل حتى أحبه»[1]. وهى ما تسمى «بصدقة التطوع».

وهى عطية يريد الإنسان بها وجه الله تعالى لتشفع له بين يدى ربه جلّ وعلا.. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وهى تنافسٌ فى فعل الخير، وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر»[3].

والصدقة لا تختص بمن عنده مال فقط، بل على كل إنسان أن

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى من حديث أبى هريرة.

(٢) سورة المنافقون ـ الآيتان ١٠، ١١.

(٣) رواه الطبرانى عن أبى أمامة.

يتصدق كل على قدر طاقته واستطاعته، ففى الحديث: «كل معروف صدقة، ومن المعروف أن تلق أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك فى إنائه»[1].

ويقول الرسول ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة»[2].

إن الله تعالى كَرَّمَ بنى آدم وخصهم بمزايا كثيرة، وأنعم عليهم نعمًا لا تعد ولا تحصى، فينبغى لكل منهم أن يشكر مولاه على ما أولاه من فضل ورعاية، فعليه أن يصلح بين المتخاصمين، وإذا رأى أى إنسان فى الطريق يحتاج إلى مساعدته لزمه مساعدته.

ففى الحديث: «من كان معه فَضْلُ ظَهْرٍ ـ أى: زيادة عن حاجته فيما يركب ـ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فَضْلٌ من زادٍ فليعد به عَلَى من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل»[3].

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذى، والحاكم فى المستدرك عن جابر.

(٢) رواه الإمام أحمد، والبيهقى عن أبى هريرة.

(٣) رواه الإمام أحمد، والإمام مسلم، وأبو داود عن أبى سعيد.

خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[1].

والمنّ هو أن يعدد المحسن نِعَمَهُ وفضله على مَنْ أحسن إليه، والأذى يشمل المَنَّ ويزيد عليه كل ما يؤذى الفقير، كأن يريد الغنى منه تعظيمه، والقيام له، والاعتراف أمام الناس بفضله، من أجل هذا جاء فى الحديث أن سبعة يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة، ومنهم: «رجل تَصَدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»[2]. كما جاء فى الحديث أيضًا: «إن صدقة المسلم تزيد فى العمر وتمنع ميتة السوء»[3].

الصدقة الجارية:

كل إنسان على وجه الأرض ضيف سوف يرحل عنها ولن يأخذ من دنياه أى شىء، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٦٢، ٢٦٣، من الآية ٢٦٤.

(٢) رواه مالك والترمذى عن أبى هريرة وأبى سعيد والإمام أحمد والنسائى ومسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد معًا.

(٣) رواه الطبرانى عن كثير.

(٤) سورة الأنعام ـ من الآية ٩٤.

وهذه الأرض ليست ملك بشر، وإنما هى ملك الله تبارك وتعالى، لأنها لو كانت ملك بشر لأخذها معه يوم أن يرحل، لكن الناس يأتون ويعيشون عليها مدة محدودة ثم يرحلون عنها ويذهبون، وتبقى الأرض من بعدهم بخيرها لمن بقى عليها، وهى أولاً وأخيراً لله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[1].

ولما كان الإنسان فى دنياه حريصًا على جمع المال لينتفع به مدة حياته وفى وقت الأزمات التى تمر به، فإن العاقل هو الذى يدخر العمل الصالح ليوم موته ليجده رفيقه فى قبره وأنيسه فى وحدته.

ففى الحديث: «الكَيِّسُ مَنْ دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»[2].

ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[3].

ولما كان المال حبيب الروح وشقيق النفس، فإن الإنفاق منه محل الاختبار فمن أنفق منه فى سبل الخير أخلف الله عليه ومن يبخل فإنما

(١) سورة مريم ـ الآية ٤٠.

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، والعسكرى، والترمذى، وقال: حسن، عند شداد بن أوس مرفوعا، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى.

(٣) سورة المزمل ـ من الآية ٢٠.

يبخل عن نفسه قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1].

لذلك لم يحرم الله المرء ثواب عمله وأجر صدقته حتى بعد موته، فعدد الإسلام نماذج من أنواع الصدقة التى يجرى ثوابها على المرء بعد موته، وسماها بلسانه: «الصدقة الجارية».

منها: مسجد بناه، أو بئر فى صحراء حفرها، أو نخل غرسه، أو عِلْم نَشَرَهُ، أو مدرسة أو مستشفى أنشأها، ففى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

وفى الحديث القدسى عن رب العزة: «يا بن آدم أفرغ من كنزك عندى ولا حرق ولا غرق ولا سرق، أُوفِيكَهُ أحوج ما تكون إليه»[3].

وهكذا نرى أن الإسلام يحث على التعاطف والتراحم بسماحة نفس، وكرم خلق، فإن السخى قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنة،

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٥.

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد، ورواه مسلم عن أبى هريرة فى كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٣) رواه البيهقى فى الشعب عن الحسن (مرسل).

قريبٌ من الناس، والبخيل بعيدٌ عن الله، بعيدٌ عن الجنة، قريبٌ من النار.

إن إخراج الزكاة وبذل الصدقة يحفظ التوازن الاجتماعى بين الناس، ويقوّى روح التضامن وروابط الإخوة بينهم، وتوصّل المسلم إلى مرتبة الأبرار وتطفئ غضب الرب، ويبارك الله فى المال بسببها، ويحفظه من الآفات، وتمنع أعين المساكين والمحتاجين من التطلع بحقد إلى أموال الأغنياء.

والزكاة كلها خير ونماء وبركة للفرد والمجتمع الإنسانى بأسره، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

وبعـــد:

فإن التكافل الاجتماعى فى الإسلام عام وشامل، والإسلام يوسع هذه الدائرة ليكون أمام الإنسان حرية الحركة فى كل مكان وزمان، يستطيع أن يخدم بيئته، ويسهم فى رقى مجتمعه، ويدخل السرور على قلب كل إنسان، ويزرع الأرض من حوله، ويجعل البهجة والاطمئنان تصل إلى الحيوان الأعجم ليشيع السرور، ويعم الرخاء بين الكائنات بعضها وبعض.

ونحن إذ نُذكّر المسلمين بهذا فإننا نقصد الخير للإنسانية خاصةً فى

(١) سورة التوبة ـ من الآية ١٠٣.

مجتمعنا المعاصر الذى أصبح يسوده نوع من الكآبة، والانطواء الفكرى على ألوان متباينة من الثقافة لاتخدم مبدءاً، ولا تغرس قيماً سليمة، والإسلام بعطائه وقيمه وأخلاقياته تسعد الإنسانية به يوم أن تلتحم به وتسير على هديه.

وليس للإنسانية اليوم بدٌ من العودة إلى الإسلام، لأنه الذى يُؤَمِّنُ حياتها، وينشر السلام فى جنباتها، والله يقول الحق، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

* * *

جدول بيان زكاة الإبل فى جميع المذاهب:

النصاب من ـ إلى	القدر الواجب	ملاحظـــات
١ : ٤	لاشىء	١ـ عند الحنفية: الشاة الواجبة فى الزكاة
٥ : ٩	شاة	ما أتمت سنة ودخلت فى الثانية ـ سواء
		كانت من الضأن أو الماعز.
١٠ : ١٤	شاتان	ـ ولم يشترط الجمهور دخولها فى الثانية.
١٥ : ١٩	ثلاث شياه	ـ واكتفى الحنابلة فى الضأن بما له ستة
		أشهر.
٢٠ : ٢٤	أربع شياه	ـ والشافعية اشترطوا فى الضأن الذى بلغ
٢٥ : ٣٥	بنت مخاض	ستة أشهر أن تسقط مقدم أسنانها.
٣٦ : ٤٥	بنت لبون	٢ـ بنت المخاض: هى أنثى الإبل التى
٤٦ : ٦٠	حقة	أتمت سنة ودخلت فى الثانية، ولم يشترط
٦١ : ٧٥	جذعة	الحنفية دخولها فى السنة الثانية، وهكذا
		فى بنت اللبون والحقة والجذعة.
٧٦ : ٩٠	بنتا لبون	٣ـ بنت اللبون: هى أنثى الإبل التى أتمت
		سنتين ودخلت فى الثالثة.
٩١ : ١٢٠	حقتان	٤ـ الحقة: هى أنثى الإبل التى أتمت ثلاث
١٢١ : ١٢٩	ثلاث بنات لبون	سنين ودخلت فى الرابعة.

تابع: جدول بيان زكاة الإبل في جميع المذاهب:

النصاب من - إلى	القدر الواجب	ملاحظـــات
١٣٠ : ١٣٩	حقة وبنتا لبون	٥- الجذعة: وهى أنثى الإبل التى أتمت
١٤٠ : ١٤٩	حقتان وبنت لبون	أربع سنين ودخلت فى الخامسة.
١٥٠ : ١٥٩	ثلاث حقاق	٦- لم يشترط الحنفية دخول واحدة من
١٦٠ : ١٦٩	أربع بنات لبون	الأربع فى السنة التالية.
١٧٠ : ١٧٩	ثلاث بنات لبون وحقة	٧- فى أظهر الروايتين عن مالك رضى الله عنه، أن الإبل إذا زادت على ١٢٠،
١٨٠ : ١٨٩	بنتا لبون وحقتان	فالمحصل للزكاة يكون مخيراً بين أن يأخذ
١٩٠ : ٢٠٩	أربع حقاق أو خمس بنات لبون	ثلاث بنات لبون أو حقتين.

جدول بيان زكاة البقر فى جميع المذاهب:

النصاب من - إلى	القدر الواجب	ملاحظـــات
٣٩:٣٠	تبيع	١ـ التبيع: هو ماله سنة ودخل فى الثانية، وسُمِّى بذلك لأنه يتبع أمه. وقال المالكية: هو ما أتم سنتين ودخل فى الثالثة.
٥٩:٤٠	مسنة	
٦٩:٦٠	تبيعان	٢ـ وهى مالها سنتان ودخلت فى الثالثة. سُميت بذلك لأنها طلعت أسنانها. وقال المالكية: هى ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة.
٧٩:٧٠	مسنة وتبيع	
٨٩:٨٠	مستان	
٩٩:٩٠	ثلاثة أتبعة	٣ـ والقاعدة هى: من كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة.
١٠٩:١٠٠	مسنة وتبيعان	
١١٩:١١٠	مستتان وتبيع	
١٢٠	ثلاث مسنات أو أربعة أتبعة	

جدول بيان زكاة الزروع فى المذاهب الأربعة:

الثمـــار	الشافعية	المالكية	الحنابلة	الحنفية
الحنطة والشعير والذرة والأرز وما شابهها مِمَّا يتخذه الناس قوتًا فى حالة الاختيار.	تجب فيها الزكاة	تجب	تجب	تجب
اللوز والجوز والبندق والفستق وما شابهها مما يتفكه الناس به.	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب
العدس والحمص واللوبيا والترمس وما شابهه.	لا تجب	تجب	تجب	تجب
التفاح والرمان والبرتقال والكمثرى والخوخ والبرقوق ونحوها.	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب
التين	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب
العنب والبلح إذا صارا تمرًا وزبيبًا	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب
القطن	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب

تابع: الزروع التى تجب فيها الزكاة فى المذاهب الأربعة:

الثمـــار	الشافعية	المالكية	الحنابلة	الحنفية
الزيتون والسمسم والقرطم ونحوها	لا تجب، وللشافعى قـــول بوجوبها فـــى الزيتون	تجب	تجب	تجب
القثاء والبطيخ والشمام والخضر	لا تجب	لا تجب	لا تجب	تجب وقال الصاحبان: لاتجب
القصب الفارسى/ والحطب والحشيش	لا تجب	لا تجب	لا تجب	إلاّ إذا قصد بها صاحبها الاستغلال

جدول بيان زكاة الغنم أو الماعز:

النصاب من - إلى	القدر الواجب	ملاحظات
١ : ٣٩	لا شىء	
٤٠ : ١٢٠	شاة	
١٢١ : ٢٠٠	شاتان	
٢٠١ : ٣٠٠	ثلاث شياه	
٣٠١ : مِمَّا فوق	فى كل مائة شاة	

جدول بيان نصاب الذهب والفضة:

الذهب بالمثقال	بالجرام	بالنقد	الفضة بالدرهم	بالجرام	بالنقد
٢٠ مثقالا	٨٥ جرامًا	حسب سعره فى بلد المزكى	٢٠٠ درْهم	٥٩٤ جرامًا	بالنقد حسب السعر فى بلد المزكى

(تم بحمد الله وعونه)

المراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ السنة النبوية.

٣ـ كتاب المال لأبى عبيدة.

٤ـ الدين الخالص للشيخ محمود خطاب السبكى.

٥ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق.

٦ـ فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوى.

٧ـ الفقه على المذاهب الأربعة.

٨ـ لسان العرب.

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم: منصور الرفاعى عبيد.

العمل الحالى: وكيل وزارة الأوقاف لشئون القاهرة.

محل الميلاد: محافظة الغربية ـ سمنود ـ محلة زياد.

تخرج فى كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر الشريف.

عضو مجلس الشعب السابق فى دورتين متتاليتين، وعضو المجالس القومية المتخصصة، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو لجنة القرآن الكريم، ورئيس لجنة الشئون الدينية بالمجلس المحلى بمحافظة القاهرة، ومدير عام المساجد بوزارة الأوقاف سابقًا، وغيرها من العمل التطوعى.

ومن مؤلفاته:

١ـ دعاء العارفين (طريق الوصول والأرجي للقبول).

٢ـ لمحات عن أمهات المؤمنين.

٣ـ المسجد ومكانته والإمام ورسالته.

٤ـ يابنى أقم الصلاة.

٥ـ أحاديث حول العقيدة.

٦ـ بشائر بين يدى الرسالة.

٧ـ الإسلام والشباب.

٨ـ أضواء على جوانب من الحضارة الإسلامية.

٩ـ الحج وكيف تؤديه.

١٠ـ أزهار وأنوار.

١١ـ أهداف القصة فى القرآن.

١٢ـ فى موكب الإسراء والمعراج.

١٣ـ المرأة ودورها فى الهجرة.

١٤ـ السيدة زينب رضى اللّه عنها.

١٥ـ الإسلام ومشاكل العصر.

١٦ـ الإسلام ورعاية الطفولة.

تحت الطبع:

١ـ الأخلاق الاجتماعية كما بينتها سورة النور.

٢ـ أهداف القصة فى القرآن الكريم ـ جزء ٢.

٣ـ من القصص الإسلامى.

* * *

الفهرس

* * *

المفهوم الإسلامى للتكافل الاجتماعى

« المال مال الله .. والإنسان ـ تبعًا لذلك ـ مستخلفٌ عنه (سبحانه وتعالى) فى ذلك المال».. من منطلق هذه المقولة البسيطة فى مبناها.. العظيمة فى معناها جاء هذا الكتاب ليبين للقارئ فلسفة الإسلام فى مسألة التكافل الاجتماعى، ويوضح ـ بصورة لا لبس فيها ـ قواعد ومعايير التكليف الإلـهى لركنٍ أساسىٍ من أركان الإسلام، وهو «الزكاة»، وبيان ماهو حقٌ معلوم للسائل والمحروم، وجميع ما يدخل فى دائرة التحريم من المعاملات المالية فى الإسلام.. مع الإشارة إلى أخلاقيات هذا الدين القيّم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأثر ذلك على تماسك الأمة ومتانة نسيجها!

ولم يفت المؤلف ـ وهو عالمٌ وداعيةٌ إسلامى لامع ـ أن يشير إلى أن التكافل الاجتماعى لا يقف عند حدود الجانب المادى فقط، بل إلى المعنوى منه أيضًا حيث يهتم بكرامة الانسان ويُعلى من قدر العلم والعلماء، ويعنى بالبر والتقوى، ويدعو إلى عمل الصالحات والتواصى بالصبر والحق.. وفى ذات المعنى تأكيدٌ على أن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى !

إن القارئ المسلم الشغوف إلى معرفه دينه سوف يجد فى هذا الكتاب إجابةً مستقيمةً وشافية عن كل الأسئلة التى تدور فى ذهنه وتجول بخاطره لتقطع عنده شكًـا بيقين، وتأخذ بيده من ضلالةٍ إلى هداية، وتضىء له نورًا بعد ظلام!

